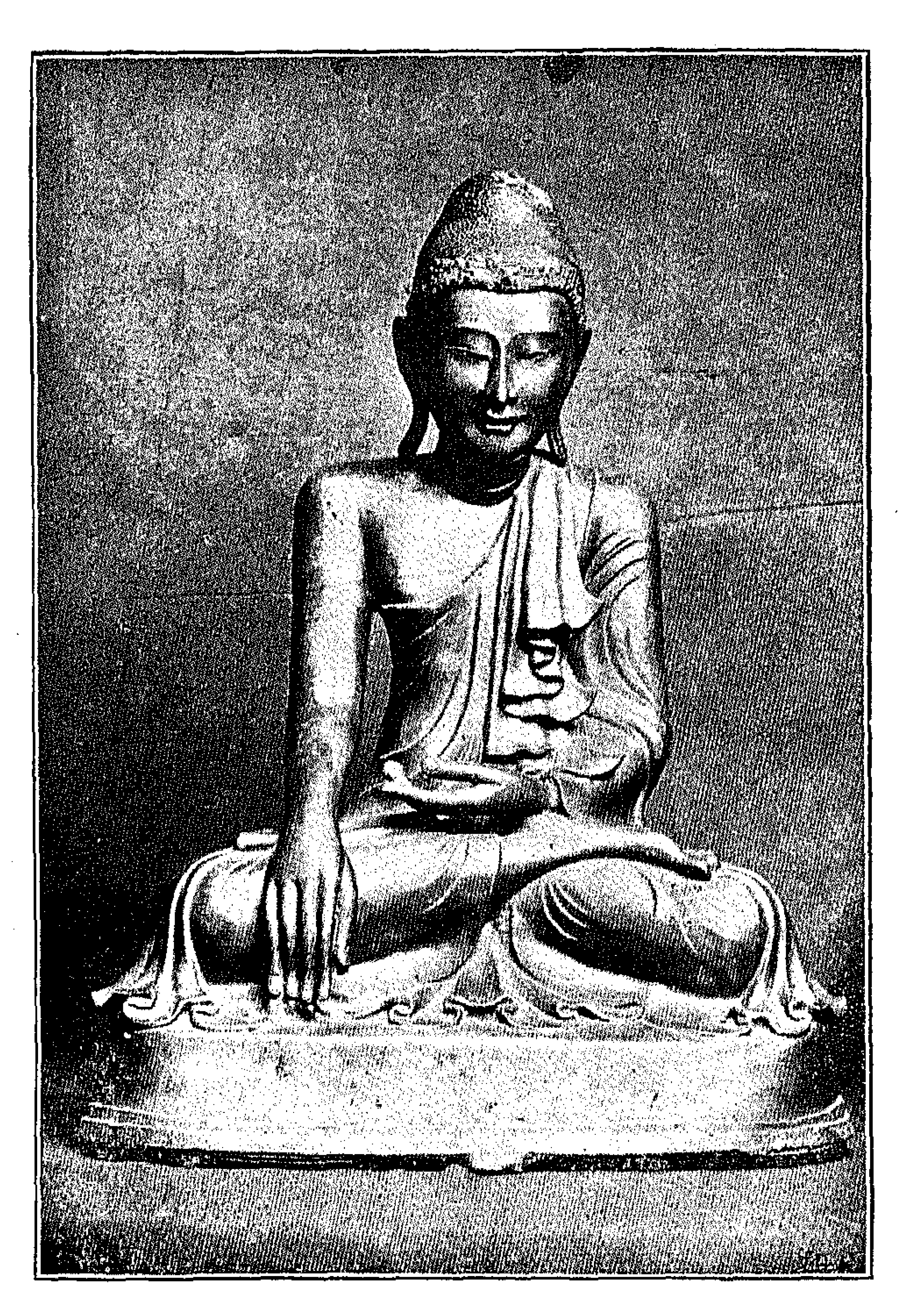




﴿ السيد توفيق البكري ﴾



﴿صورة تمثال بوذا — في تأملاته﴾

فلسفة



راجايوجا

ملخص مذهب هندي يبحث في علوم شتى وفنون منوعة

نقله عن الانكليزية

حسن حسين

وعني بطبع المطبوعة الأولى

عبد الغني أحمد

المطبوعة الاولى

سنة ١٩٢٦ — سنة ١٣٤٥

طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر

راجا يوجا

في هذا الكتاب ملخص مذهب هندي نافع وهاك بعض ما يشتمل عليه

(١) كيف تعيش عيشة راضية بالروح والجسد
(٢) كيف تعيش مئة وخمسين سنة ولا يشتعل رأسك بالشيب
(٣) كيف تعيش مئات السنين في هناءة من العيش ورغد من الحياة
(٤) كيف تعيش مئات السنين من غير أن يعرف المرض اليك سبيلاً
(٥) كيف تعيش مع الأرواح والعالم غير المنظور
(٦) كيف تستطيع أن تعرف ما يقع من الحوادث في البلاد النائية
(٧) كيف تستطيع أن تقرأ أفكار غيرك
(٨) كيف تستطيع أن تؤثر في غيرك وتأمره فيطيع صاغراً
(٩) كيف تستطيع أن تختفي عن أنظار الغير وأنت بينهم
(١٠) كيف تستطيع أن تتصل بالعالم الآخر ويكشف عن بصيرتك
(١١) كيف تستطيع أن تتعلم وتتكلم كل علم وكل لغة من غير تعلم
(١٢) كيف تستطيع أن تكون كل شيء وتستحيل الى ما تحب

كل هذا وأكثر منه يكون اذ تعلمت هذا المذهب وعالجت ما فيه من تمرينات رياضية وقواعد علمية



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

(للمترجم)

فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الارض

قرآن كريم

ليس كل ما يعرف يقال ، ولا كل ما يقال
جاء أوانه ، ولا كل ما جاء أوانه حضر أهله

الامام على

ليس في العالم شيء هو خير بذاته ، ولاشيء
هو شر بذاته ، بل بالوضع ، وقد ينقلب
الخير شراً ، والشر خيراً ، فلا تكون هنالك حقيقة

ارسطو

فذلكة
في
الفلسفة والتصوف

سفر الوجود منشور يقرأه الرايح والغادي من خلائق الله، يتصفحه الملأ من الناس، والجيل من اجيال هذا العالم ، وهم يعبرون أيام حياتهم على هذه الأرض، يودعون أياماً ويستقبلون اياماً وكلهم على يقين لا ريبة معه ولا خلجة شك فيه، انهم وان طال بهم الظعن أو امتدت أيام اقامتهم – لا بد لهم من مصير واحد ينتهي عنده سبيل حياتهم وتقف امامه جبابرة العقول في دهش وحيرة . هنالك الولاية لله وهنالك تسفر الحقيقة

عن وجهها ذلك القناع الذي طالما كان حجاباً صفيقاً حال بينها و بين افهام الناس وادرا كاتهم ، هنالك حيث لا مين ولا تمويه والأمر يومئذ لله .

ولئن كان لخلائق الله ان يجمعوا على اننا كلنا قد بدأنا هذه المرحلة من عند موئل واحد ، وأخذنا شوط الحياة سواء ، واننا من بعد ذلك — الى مآب واحد — الا انهم — مع هذا يختلفون اختلافاً ظاهراً بيناً ، في تعليل ذلك وتقديره حق قدره ، وفي اتباع السبيل السوى

وانما كان ذلك من الاختلاف الكائن في عقولهم ومداركهم وحساسياتهم وأمزجتهم — وشؤون غير هذه كثيرة — منها الوراثة والمناخ والبيئة وكل عامل طبيعي او اجتماعي او سياسي ومن ان الناس الا قليلاً ممن عصم ربك مأخوذون بلذائذ الحياة ، كلفون بمتاع الدنيا ، غالون في حب الحياة ، مسرفون في تقدير لذاتهم الحسية ، معرضون عما سوى ذلك ، راغبون عن كل ما يحمّلهم محامل التعب والكد والعناء

ولئن اجمعوا على سعي واحد صوب الكمال المنشود ، واستقبلوا قبلة واحدة هي السعادة ، الا انهم يختلفون عند ترسم السبيل المؤدية الى تلك السعادة — فمنهم من يجدها في المال ، ومنهم من يجدها في كأس الخمر ، ومنهم من يجدها عند معشوقته ، ومنهم من يلقاها في التقشف وانكار الذات ومنهم من يأنسها في التبتل والعبادة ، ومنهم من يتوسمها في غير ذلك — ولو شاء ربك لهدى الناس جميعاً

هذه جمّاع صور من الحياة ، وألوان من الحالات التي يعيش معها الانسان ، ذلك المخلوق الذي لم يوفقوا حين أرادوا ان يعرفوه الى نعت يلابسه وصيغة تقع عليه الا ذلك اللقب الذي اطلقه عليه فلاسفة اليونان ، وهذا التعريف المعروف (الانسان حيوان ناطق)

ولقد كان يتأتى له ان يعيش مندمجاً في حسه ، او متغلغلاً في جلده — فلا ترتفع عيناه الى ما فوقه من مراتب الوجود ، ولا تنزع نفسه الى الكمال المنشود ، اجل كان يستقيم له ذلك ، وهو الذي وضع نفسه في مملكة الحيوان ووصل ادناه في الانسانية بأرقى ذوات الثدي في الحيوانية — وهو الذي القى عليه العلم الحديث دروساً في

التشريح والأجنة والحفريات وما الى ذلك من محدث العلوم ـ فاقتنع بأنه والقرد سواسية يجمعهما اصل واحد

نعم كان يتهيأ له أن يقنع بطبيعته ، ويعيش في حيوانيته ، لولا ما آنسه في نفسه من ملكات وقوى ، وما وفق اليه من مقدرات وميزات

فكما انه استدل على وجوده الحيوي بما فيه من وجدان ، كذلك ايضاً هو يستدل على استعداده للكمال ـ وخروجه من حيوانيته الى الملأ الأعلى ـ هو يستدل على هذا الاستعداد ، بما فيه من عقل فياض ، ووجدان متأجج ، وشاعرية حية ، ونفس وثابة ، وخيال راق ، كل اولئك عنده من ادلة و برهنة ، يقدمها ـ اذا هو الجأته الحاجة اليها ـ يستشهد بها على انه يمتاز على الحيوانات كلها بهذه الميزات وعلى ان كل ما في الكون مسخر له ـ فهو كمال الوجود

من اجل ذلك كان نزاعاً الى ما بعد شعوره ، وثاباً الى تعرف ما وراء هذا الظاهر المحسوس ، ولقد سخر الطبيعة لمنافعه ـ فحلق في الفضاء ، وغاص عباب الماء ، واستكشف قوة الكهرباء ، وانتفع بأكثر قوى الطبيعة، وهو الى جانب هذا قد عمدت منه طائفة الى تزكية النفوس والتدرج في معارج الفلاح فالوصول الى العالم الآخر، وكان منه «ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»

والناس ـ وأن اتفقوا على تعيين الغاية المنشودة، الا انهم يختلفون في اتخاذ السبيل الموصلة الى تلك الغاية ، فمنهم ـ من عمد الى الفلسفة ـ فاتخذها سبيلاً موصلة الى تحقيق هذه الغاية. ومنهم من قصد غايته من طريق التنسك والعبادة ، ومنهم من سعى اليها عن طريق التفكير والتأمل ، ومنهم من نجع اليها بالرياضة والتصوف ـ وهكذا ـ اختلفت المسالك والقصد واحد

الشرق والغرب

فضل الغرب على الشرق لا ينكره الا ابله مأفون ، او مغرض مجنون ، ولقد ظهر الغربيون بمدنيتهم ـ ومخترعاتهم واستكشافاتهم فأبهروا العيون وحيروا الألباب ، وكان

لهم فضل يذكر في كيان حياتنا الاقتصادية وفي كل مرفق من مرافقنا فنحن لا نزال بحاجة الى الغرب في كل مقومات حياتنا وسبل اعمالنا ، ولا نزال نعيش عيالاً على الغربيين حتى يقضي الله امراً كان مفعولاً فننهض نهضة الحياة وتكون لنا حياة اقتصادية مستقلة بأفكار شرقية ، وأموال شرقية ، وأيد شرقية

نقول هذا في غير حياء ولا خجل ـ وهو حكم القدر ، ولا راد لقضائه ـ وهي حقيقة مرة ـ والحقيقة يجب ان تقال لا ان تعلم وتقبر في الصدور

ولكننا نقول في اناة وهوادة ، ان الغرب وان كان صاحب فضل على الشرق الآن ـ فان فضل الشرق عليه سابق . فلولا الشرق ما كان الغرب ، ولولا الحضارات الشرقية والمدنيات الشرقية ، لولا الفلسفة الشرقية والعلوم الشرقية والآداب الشرقية ـ ما كان للحضارة الغربية ظل الآن ، ولا تمتع الغربيون بما يتمتعون به من هناء ورخاء

فالشرق مطلع العلم والعرفان من سالف الزمان ، ومهبط الوحي ـ ومبعث النبوة والانبياء ، ومتبوأ الشعر والشعراء ، وموئل الادب والادباء ، ومكان العلم والعلماء والفهم والفهماء منذ كان التاريخ تاريخاً

مظاهر الكمال لم تظهر الا في الشرق ـ فمحمد وعيسى وموسى وابراهيم واسحق ويعقوب ـ والانبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام لم يتم لهم ظهور الا في الشرق ، وغير الانبياء المعروفين كثير من زعماء الاصلاح الذين اسسوا ديانات قطعت آلاف السنين حية باقية مثل بوذا وبراهما وكونفشيوس وزردشت وغيرهم لم يظهر لهم اثر الا في الشرق

وحسبنا ما نعلمه من مظاهر الكمال الثلاثة محمد وعيسى وموسى عليهم الصلاة والسلام وظهورهم في الشرق واندماج الانسانية فيهم طوال هذه السنين . حسبنا فخراً واعتزازاً ان يكون الغربيون من اتباع سيدنا عيسى عليه السلام . لنعلم انهم مدينون لنا في الدين والدنيا معاً

فالشرق مشرق الانوار

والشرق شرق والغرب غرب

والشمس انما تشرق من المشرق وتغيب في المغرب

الترجمة والتعريب

فضل النقل على الحضارات والمدنيات

والتاريخ يحدثنا حديث الصراحة والصدق ـ فيظهر الاخلاف على سير الاسلاف. فلولا تتبع الناس سير من تقدمهم، وتشييدهم الجديد الطريف على انقاض القديم الدارس ولولا ما يبقى عليه الدهر من تراث الغابرين وآثار السالفين ما تخيلنا سالف ما عبره الزمن من العصور المتعاقبة الأعصر فطحل ، ولا قام للحضارة العصرية قائم

ولعل نضج عقول الحكماء بآثار الفكر الانساني ابقى وأنفع ما في هذا الوجود ـ لانها تبدد من ظلماته وترفع من شأن مدنيته ، وتقلل الشقاء وتبعث فيه روح السعادة والهناء ولعل هذا ما حدا بالمعربين والمترجمين ان ينقلوا مستملح ما جادت به قرائح المتكلمين بغير لغاتهم ومستحسن ما الفوا وصنفوا من ممتع التواليف وقيم الكتب ، فعمدوا الى احياء لغاتهم وكانوا واسطة التفهم وحلقة الاتصال بين جيل وجيل وشعب وشعب وقربوا بين الأمم المختلفة ، وقبائل هذا العالم المتباينة ، فانتظمت حلقات الوجود ، واتسعت الحياة الفكرية ، واستقامت مظاهر الانسانية ، واتسعت دائرة المعارف ومنطقة المدنية ، وكان الخير شاملاً والهناء عاماً

نقول : ولولا تعريب المعربين وترجمة المترجمين ، ما تهيأ للغربيين ان يشيدوا مدنيتهم التي تبهر عقولنا ، ويأخذ بهجرجها بأبصارنا ـ على انقاض المدنية الشرقية ، ولا تهيأ لاهل اوروبا ان ينتفعوا بالآداب اليونانية ، والفلسفة اليونانية ، والعلوم اليونانية . والتاريخ يشهد بأن العرب كانوا حلقة الوصل بين الحضارة اليونانية القديمة والحضارة الاوروبية الحديثة ـ وأنهم تناولوا بيمينهم آثار اليونان ، وما لبثوا ان سلموها بيسارهم الى الغربيين

فاذا كانت الأمة العربية مدينة لاولئك الذين نفعوها بترجمة اقصى ما بلغ اليه العقل اليوناني من أدب وحكمة وعلم وفلسفة ـ اذا كانت مدينة لامثال جرجيس بن بختيشوع ، ويوحنا بن موسويه ، وحنين بن اسحق ، ويوحنا البطريق ، وثابت بن

قره ، وعبد الله بن المقفع ـ ولمن أمدوهم بالمال وأعانوهم بكل ما يمكنهم من القيام بواجبهم هذا ـ من الخلفاء امثال أبي جعفر المنصور ، والرشيد ـ ثم الخليفة السابع عبد الله المأمون . فان أوروبا ستبقى مدى الدهر مدينة للعرب الذين توسطوا بين آثار العقل اليوناني القديم والاوروبي الحديث ، وستبقى أيضاً تذكر بالخير اسم قسطنطين الافريقي ، وجيراز الكروني ،والاشبيلي ، وسمعان الجنوي وميخائيل سكوت الانكليزي وأشباه هؤلاء ممن عنوا بنقل كتب العرب الى لغات الغرب ، وتذكر الى جانبهم من ملوك أوربا من شجعهم وجهزهم بالمال للمضي في سبيلهم هذا ، أمثال ـ الفونس ملك قشتاله ، وفردريك الثاني صاحب المانيا وايطاليا »

وهذا كتاب راجا يوجا قد حوى مذهباً من اجل وأشرف ما عرف تاريخ مذاهب الهنود يأخذ بيد تابعه الى حيث سعادة الدارين ، وانما سبيله في ذلك اتباع قواعد بسيطة وتمرينات تنفسية منتجة ـ هذه كل رياضاته المؤدية الى الوصول للحقيقة والاتصال بالعالم الروحاني والانسراح من غواشي المادة ، والتجرد من شرور الطبيعة ففيه زهد وفيه رياضة وهو جماع من آراء فلسفية، وأفكار صوفية يستفيد منها طالب الحقيقة

«وما نبغي من ذلك أن نعيش عاكفين على العقيدة قانعين بها معرضين عن النظر في العلوم واستمراء نظرياتها، والفلسفة واستيعاب مسائلها ـ وفي ذلك مدار اللائمة ومستقر المذمة لانه مفتاح الجهل مغلاق الفهم وانما نحن نؤثر العقيدة ونفضل التدين على الالحاد وهجر هيكل الايمان ونرى الى جانب ذلك ان الدين لا يحرم النظر في الطبيعة، وتعرف ماهياتها وكيفياتها ولا يحول دون تحصيل العلم والاكباب على موائده وترشف سلسبيل مناهله العذبة، وانما هو يأمر بطلب العلم ولو بالصين ويفرضه فرضاً على كل مؤمن ومؤمنة

ونحن نعلم ان الامم ما بلغت مبلغها من الحضارة الا بعد ان تحدت سير نواميس الطبيعة وهذه امة اليونان مثال صادق لذلك ، ونعلم أن الامم تتسفل اذا هي اغفلت شأن النواميس الطبيعية وأهملت مراعاتها فيما يختص بالبيئة والغذاء ، وفيما يختص باستسلامها للعادات والملكات المهلكة بل نعلم فوق ذلك انه لولا تعرف قوى الطبيعة ، وهتك مساتير بعض ما فيها من أسرار ـ لما طار ريط في الفضاء ، ولا سخر ماركوني

الهواء ، ولا جاب غائص عباب الماء ، ولا استكشف اديسون الكهرباء ، ولا كانت مظاهر هذه المدنية التي يزهو بها الانسان زهواً كبيراً »

ولما كان هذا المذهب من خيرة ما وفق اليه الانسان ـ وأشرف ما عرف عن المذاهب الهندية ، وهو يتفق في كثير من نواحيه مع الدين الاسلامي وفي كثير من انحاء اخرى مع التصوف المعروف عندنا

ولما كان هذا نافعاً مفيداً مؤدياً الى ما ينشده الانسان من بر وخير وسعادة وهناءة ، وكان قوام هذا المذهب ودعاماته التي يرتكز عليها ، آراء فلسفية ، وأفكاراً تصوفية ، ورياضات وتمرينات تنفسية عملية ، تؤثر في الحالتين العضوية والروحية ـ كان لا بد لنا ان نسلك السبيلين في توضيحه واظهار الطالب على ما حواه من فكر وآراء ، وتفسير ماهيته وتوضيح جوهره ليكون سائغاً مفهوماً،يستمرئه المبتدىء من غير غضاضة ولا غصاصة ـ سبيل الفلسفة وسبيل التصوف

من اجل هذا توخينا هذين المسلكين فبدأنا بلمع من آراء الفلاسفة في النفس وعلاقتها بالجسم ومظاهرها وحالاتها المختلفة ـ قديم هذه الآراء ومحدثها ـ لمحدث الفلاسفة وقدمائهم . والنفس في هذا المذهب جوهره وأساسه

ثم من بعد ذلك نقصد الى التصوف فنظهر الطالب الكريم على ما عن لنا مما يحتاجه هذا الموقف فنقول :

آراء القدماء

من فلاسفة العرب واليونان

في الحكمة والنفس

يقول ابو نصر الفارابي ان الفلسفة ـ هي العلم بالموجودات بما هي موجودة وهي ما تسمى ايضاً عند العرب بالعلم الالآهي وبالحكمة الالآهية وبالالآهيات نقلاً عن ارسطو

و يقول ابن سينا في كتاب الشفاء ـ موضوع العلم الالآهي الوجود المطلق ـ ومنه اخذ صاحب التعريفات قوله ان الحكمة الالآهية هي العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه

ويقول ابن خلدون في مقدمته ـ علم الالهيات علم ينظر في الوجود المطلق

يقول افلاطون وكذا ارسطو: ان بداية الفلسفة التعجب ومنتهاها عدم التعجب ـ هنالك حيث يتحقق الانسان ان الوجود لا يمكن ان يكون على غير ما هو عليه ـ وهنالك يزول اضطرابه

يقول ابن سينا : الحكمة تنقسم الى قسم نظري مجرد وقسم عملي والقسم النظري هو الذي الغاية منه حصول الاعتقاد اليقيني بحال الموجودات التي لا يتعلق وجودها بفعل الانسان ويكون المقصود انما هو حصول رأي فقط مثل علم التوحيد وعلم الهيئة. والقسم العملي هو الذي ليس الغاية فيه حصول الاعتقاد اليقيني بالموجودات ؛ فغاية النظري هو الحق ـ وغاية العملي هو الخير

اقسام الحكمة النظرية ثلاثة ـ (١) العلم الاسفل ويسمى العلم الطبيعي (٢) العلم الاوسط ويسمى العلم الرياضي (٣) العلم الاعلى ـ ويسمى العلم الالهي . وأقسام الحكمة العملية ثلاثة. تدبير الانسان اما ان يكون خاصاً بشخص واحد واما ان يكون غير خاص بشخص واحد والذي يكون غير خاص هو الذي يتم بالشركة ـ والشركة اما بحسب اجتماع منزلي عائلي واما بحسب اجتماع مدني ـ كانت العلوم العملية ثلاثة . واحد منها يعرف به الانسان كيف ينبغي ان تكون اخلاقه وأفعاله حتى تكون حياته الاولى والاخرى سعيدة ويشتمل عليه كتاب ارسطوطاليس في الاخلاق. والثاني منها يعرف منه الانسان كيف ينبغي ان يكون تدبيره بمنزله المشترك بينه وبين زوجه وولده ومملوكه حتى تكون حاله منظمة مؤدية الى التمكن من كسب السعادة ويشتمل عليه كتاب (ارونس) في تدبير المنزل وكتب فيه لقوم آخرين

والثالث منها يعرف به اصناف السياسات والرئاسات والاجتماعات المدنية الفاضلة والرديئة فما يتعلق من ذلك بالملك يشتمل عليه كتاب افلاطون وأرسطو في السياسة. وما كان من ذلك يتعلق بالنبوة والشريعة يشتمل عليه كتابان ـ هما ـ في النواميس

يقول ابن مسكويه في تقسيم الفلسفة : وان الفلاسفة والمتفلسفين والباحثين عن الحقيقة شيع وطوائف

فأنت ترى فيهم الصوفيين القائلين بالشهود اولاً والفناء آخراً

ثم القدرية او المعتزلة (وهم متكلمون قالوا ان الخالق وضع للكون نظاماً تنطبق اصوله على مصالح المخلوقين قوى وقدراً تصدر عنها آثارها بطريق التوليد والسبب او بطريق الارادة والاختيار) وانك لتراهم في ذلك لا يخالفون الفلاسفة في قولهم بلزوم الآثار لمصادرها او تأثير قدر المخلوقين في افعالهم — باقي منهم الى اليوم الشيعة الامامية الزيدية

ان من هؤلاء من يقطع العلاقة بين السبب والمسبب بل قالوا ان الله يصدر وجود المسبب عند وجود السبب فلا يقال مثلاً ان الاكل هو الذي يحدث الشبع بل يقال ان الشبع شيء يحدثه الله عند الاكل

يقول الغزالي (اذا ادنيت النار من القطن فاحترق — ان النار جماد لا فعل له فما الدليل على انها الفاعل في الاحتراق ؟ ليس لديهم دليل الا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقاة النار . فالمشاهدة تدل على الحصول عنده لا الحصول به ولا علة سواه

العلة والمعلول او السبب والمسبب . اصل كل اشكال في الفلسفة قديماً وحديثاً — ذلك لان الموجود المحس اقرب الى الذهن وأسهل على النفس من غير المنظور . فذهبت طائفة الى انه ليس يوجد في العالم غير المحسوسات اذ وقف نظرهم عند هذا الحد فلم يستطيعوا ان يكونوا من الرقي بحيث يتدرجوا من المحسوس الى المعقول ومنه الى ما هو ارقى منه حتى ينتهوا الى ما سماه الحكماء علة العلل . (الواجب الوجود) مطلقاً ليقف عند ذلك بحثهم فيكونوا في راحة من الفكر وسعادة النفس — وفي ذلك يقول افلاطون وكذا ارسطو : ان اول الفلسفة التعجب وآخرها عدم التعجب حيث يتحقق الانسان ان الوجود لا يمكن ان يكون على غير ما هو عليه . قال ابن رشد في كتاب كشف الظنون : ان الجمهور يعدون ان الموجود هو هذا المتحد المحسوس وأنه ما ليس بمحسوس فهو عدم

وقال جالينوس في كتاب الاركان : كان جل اعتناء القدماء ان موجد الوجود المادة الاصلية التي منها تركبت الاشياء المفردة اذ لا يتصور استحالة اطوار بعضها الى بعض الا اذا فرضنا ان هناك موجودات اصلية اشتركت فيها جميع المواد — منها تنبعث

واليها تعود. فقال طالس بالماء . وقال انكسيانس بالهواء،وقال انكسمندر بمادة لا صورة لها معينة دائمة الحركة تتغير تارة وترجع الى اصلها اخرى . فهم عاشوا مع الجماد ولم يتجاوزوا حد الطبيعة وقد انحصر الوجود عندهم في المحسوسات فلقبوا لذلك بالطبيعيين عند العرب وعند اليونان وهم باليوناني (فيزيولوجي)

اما النفس فتستحصل على كمالها العلمي بأربع درجات

(١) العقل الهيولاني (قوة بعيدة) (٢) العقل بالملكة (قوة كامنة) (٣) العقل المستفاد (٤) العقل بالفعل قوة تامة الاستعداد

ثم يقول : العقل فاعل ومنفعل . فالفاعل عقل تام مستقل عن جسم الانسان قابل للامتزاج بالمادة . والمنفعل قابل للفناء والتلاشي مثل باقي قوى النفس ، وانما يقع العلم والمعرفة باتحاد هذين العقلين

اما مذهب القدماء من الدهريين فانهم يعتقدون بأنه ليس هناك الا اعادة ، وهو مذهب ابيقورس الذي عاش في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد.واما مذهب اصحاب الرواق ـ فانهم يعتقدون بوحدة العقل والمادة ورد هذين الاصلين الى جوهر واحد

وليس ثمة فارقة بين مذهب ابيقورس هـذا وبين مذهب اصحاب ديموقرطوس الا نادراً

يقول الشهرستاني:اما ابيقورس الذي تفلسف في ايام دمقريطس فكان يرى ان لها شيئين العظم والشكل فقط وذكر ان تلك الاجسام لا تتجزأ اي لا تنفعل ولا تتكسر وهي معقولة اي موهومة اي غير محسوسة فاصطكت تلك الاجزاء في حركاتها اضطراراً واتفاقاً لحصل من اصطكاكها صور هذا العالم وأشكاله وتحركت عن انحاء من جهات التحرك وذلك هو الذي يحكى عنهم انهم قالوا بالاتفاق فلم يثبتوا صانعاً اوجب الاصطكاك وأوجد هذه الصورة

اما اصحاب الرواق الذين يعرفون عند العرب ايضاً بأصحاب الاسطوانة ،واشتقاق الاسم من رواق بمدينة اثينا كانوا يجتمعون فيه ـ وصاحب هذا المذهب زينون الذي عاش في منتصف القرن الرابع قبل المسيح ثم كروسبيوس ـ فقد قال عنهم الشهرستاني

«حكماء اهل المظال هما خروسيس وزينون قولهما الخالص ان الباري الاول واحد هو أبدع العقل والنفس دفعة واحدة ثم ابدع ما تحتهما بتوسطهما الخ »

اذن فمذهب هؤلاء القوم بوحدة الوجود اي انه ليس هناك الا عالماً واحداً وجوهراً والا فلا وجه لتأثير احدهما في الآخر

انحصر الوجود عند اليونان لاول عهدهم بالفلسفة في حيز المحسوسات فعاشوا في جلودهم و بقوا زمناً طويلاً مندمجين في جوهم هذا لا يعنون الا بكل محس ظاهر ولا يخنعون الا للطبيعة وفواعلها ــ يقولون ان هي الا ارحام تدفع وأرض تبلع. فأطلق عليهم العرب اسم الطبيعيين وكذا لقبهم علماء اليونان

ثم جاءت من بعدها ــ طائفة السفسطيين في آخر عهد الطبيعيين

ثم عدل القوم عن ذلك وولوا وجوههم شطر الفلسفة المدنية

يقول انكساغورس ان المبدأ الاول في الموجودات هو العقل ــ وهو جوهر بسيط مفارق للمادة موجود بنفسه وهو اصل نظام الكون (العالم) والمحرك الاول للمادة وانما يعبر اليونان عن العقل بلفظ (نوس) ومعنى هذا في الاصل اليوناني المحرك والعقل ايضاً وليس ببعيد ان يكون انكساغورس قد وصل الى هذا التعبير من اشتباه المعنيين

يعرف ارسطو النفس بأنها التدبير الفعلي لجسم عضوي ــ ثم يقول : ان النفس في الاجسام العضوية هي واحدية ثلاثة اصول فهي : السبب المحرك ــ والغاية ــ والماهية الادراكية للاجسام ذوات النفوس ــ ثم يقول : ان الجزء الحسي للنفس ــ مادة واستعداد بالنسبة للعقل ــ وهو ماهية وتمييز بالنسبة للجسم

يقول ابيكتتس : ان نفس الانسان فرع من الله ــ وقال باتقاء الله او الجن الذي في داخل الانسان ــ وأنه يجب على الانسان ان يعتبر نفسه ابن الله و بني جنسه اخوانه ــ وليس الانسان من الناس اثينياً او كورنثياً ــ وانما هو ابن الله ــ لا يجب ان نكون فاقدي الحس كالحجارة

والرأي عند الرواقيين الاولين ان نفس الانسان من الله فهي من النفس الواحدة اللاهوتية . وأن النفس هي التنفس الحار الذي يقوم الجسم ويصوره وأن النفوس مادية

ككل الاشياء ،يقول كلياشيس في اثبات مادية النفس انه لا يمكن ان يؤثر ما هو غير جسمي في ما هو جسمي ولا ما هو جسمي في ما هو غير جسمي ـ وانما يؤثر الجسمي على شيء آخر جسمي مثله ـ ومن المعقول ان النفس تتأثر بأمراض الجسم وجروحه ـ وكذلك ايضاً يتأثر الجسم بالنفس اذ يحمر خجلاً ويصفر خوفاً

وقال خريسيبوس ايضاً : ان الموت انفصال النفس عن الجسم ولا يمكن انفصال شيء غير جسماني عن ما هو جسماني لان غير الجسماني لا يتصل بالجسماني ـ اما النفس فتتصل بالجسم وتنفصل عنه ـ اذن فهي جسم

يقول افلاطون: فاذا تجردت النفس من الروابط الطبيعية وعادت الى جوهرها صفا بصرها فأدركت تلك الجواهر ـ ذلك لان النفس كانت في العالم العقلي ـ كالمعاني القائمة والجواهر المجردة من المادة ـ ولقد هبطت هذا العالم كيما تدرك الجزئيات وتستفيد ما ليس لها من ذاتها عن طريق الحساسية. قالوا: فاذا ما عالجت النفس مسألة التحصيل والتعلم ـ فكأنها قد افاقت من نومها وانفتح بصرها وتذكرت ما رأته في حياتها السابقة فاذا استمرت على ذلك ـ حصل لها العلم تدريجاً ـ رويداً رويداً ـ والحق ان هذا لرجوع الى جوهرها واتصالها بعالمها الذي منه هبطت واليه المآب ـ ولهذا قال افلاطون في تعريف العلم انه اتصال جوهرنا العاقل بالجواهر المعقولة التي في الوجود ـ يقول افلاطون في المقالة الخامسة من كتاب النواميس : ان محب الحكمة دائم النزوع الى الوجود معرضاً عن الافراد والمظاهر ساعياً في البحث عن الماهيات العقلية حتى يتصل جوهره العقلي بما في الاشياء من الجواهر المعقولة فيحصل الاتحاد لما بينهما من المشاكلة والمجانسة فتتولد من اتصالها المعرفة واليقين فما العلم في الواقع الا تذكر النفس حالتها السابقة التي كانت عليها قبل الوجود البشري — وما قد تشاهده في تلك الحياة السابقة اشبه الاشياء بالولادة — والنفس تبرز ما كان فيها كامناً وفي جوهرها باطناً ومن اجل ذلك يقول الامام الغزالي : ان العلوم مركوزة في اصل النفس بالقوة كالبذر في الارض والجوهر في قعر البحر او في قلب المعدن. والتعلم هو طلب خروج ذلك الشيء من القوة الى الفعل . ثم يقول ايضاً . وليس التعلم الا رجوع النفس الى جوهرها واخراج ما فيها

الى الفعل وقد رأينا عالماً يمرض نتعرض نفسه عن جميع العلوم و ينسى معلوماته وتلتبس عليه فاذا صح وعاد الشفاء اليه يزول النسيان عنه وتعود النفس الى معلوماتها فتتذكر ما قد نسيت في ايام المرض فعلمنا ان العلوم ما فنيت وانما نسيت فاشتغال النفس بالتعلم هو ازالة المرض العارض عن جوهر النفس لتعود الى ما علمت في اول الفطرة

ذكر الفارابي في كتابه آراء اهل المدينة الفاضلة كلاماً تحت عنوان(صفات واجب الوجود) منه ان الموجود الاول ليس قوامه في مادة — ولا في موضوع اصلاً ، ولا ايضاً له صورة لان الصورة لا يمكن ان تكون الا في مادة . ليس علمه بذاته شيئاً سوى جوهره . فانه يعلم وأنه معلوم وأنه علم — فهو ذات واحدة وجوهر واحد . وكذلك هو حق فان حقيقة الشيء هي الوجود الذي يخصه — كذلك هو حي وهو حياة — فليس يدل بهذين على ذاتين بل على ذات واحدة فان معنى الحي انه يعقل افضل معقول بأفضل عقل،او يعلم افضل معلوم بأفضل علم ، كما انه يقال لنا احياء اذا كنا ندرك المحسوسات بالاحساس الى ان قال : كل ما كان وجوده اتم كان ما يعقل عنه ويعلم منه اتم،اذا كان المعقول منه في نفوسنا مطابقاً لما هو موجود منه ، فعلى حسب وجوده في الخارج عن نفوسنا يكون معقوله (اي يكون) في نفوسنا مطابقاً لوجوده ، وان كان ناقص الوجود كان معقوله في نفوسنا انقص ، فان الحركة والزمان والمكان واللانهاية والعدم وأشباهها من الموجودات ـ فالمعقول من كل واحد منها في نفوسنا معقول ناقص ـ اذا كانت هي في انفسها موجودات ناقصة الوجود ـ اما العدد والمثلث والمربع وأشباهها فمعقولاتها في انفسنا اكمل لانها في انفسها اكمل وجوداً ـ فلذلك كان يجب في الاول ـ اذ هو الغاية من كمال الوجود ان يكون المعقول منه في نفوسنا على نهاية الكمال ـ ونحن نجد الامر على غير ذلك (والسبب في هذا) هو ضعف قوى عقولنا وملابستها المادة والعدم . هو يبهرنا « كالضوء » لا لاجل صفاته ونقصه (بل لانه) على غاية ما يكون من الظهور . اذا كنا نحن ملتبسين بالمادة كانت هي السبب في ان صارت جواهرنا جوهراً بعيداً عن الجوهر الاول اذ كلما قربت جواهرنا منه كان تصورنا له اتم وأيقن.وانما نصير اقرب اليه بأن يصير (عقلنا) عقلاً بالفعل ـ واذا فارقنا المادة على التمام يصير المعقول

منه في اذهاننا اكمل ما يكون. ثم ان الاول اذا كان وجوده افضل الوجود فجماله فائق لجمال كل ذي جمال وكذلك زينته وبهاؤه — فالجمال والزينة في كل موجود هو انه يوجد وجوده الافضل ، ويحصل له كماله الاخير. ثم هذه كلها له في جوهره وذاته وبما يعقله من ذاته ، وأما نحن فان جمالنا وزينتنا وبهاءنا هي لنا بأعراضنا — لا بذاتنا ولا في جوهرنا. والجمال فيه والكمال ليس هما فيه سوى ذات واحدة . وكذلك سائرها واللذة والسرور والغبطة انما تنتج اكثر بأن يدرك الاجمل والابهى والازين — و — ادراكه لذاته الادراك الاتقن في الغاية — و — اللذة التي يلتذ بها الاول لذة لا نفهم نحن كنهها ولا مقدار عظمها الا بالقياس الى ما نجده من اللذة عند ما نكون قد ادركنا ما هو عندنا اكمل وأبهى ادراكاً . وان كان ما يلتذ به الاول بذاته اكثر فهو يحب ذاته ويعشقها ويعجب بها اكثر — ونسبته الى عشقنا لما نلتذ بهِ من فضيلة ذاتنا كنسبة فضيلة ذاته وكمال ذاتهِ الى فضيلتنا وكمالنا الذي نعجب به من انفسنا

الى ان قال : ان وجود ما يوجد عن الاول — هو من جهة فيض وجوده وجوهره يفيض منه كل وجود — كاملاً كان ذلك الوجود او ناقصاً . فيبتدىء من اكملها وجوداً ثم يتلوه ما هو انقص منه قليلاً

ثم لا يزال بعد ذلك يتلو الانقص فالانقص الى ان ينتهي الى الموجود الذي لا تخطى عنه الى ما دونه الا تخطياً الى ما لم يمكن ان يوجد اصلاً ، فيتحصل لكل موجود قسطه من الوجود بحسب رتبته عن (الاول) فهو عدل وعدالة في جوهره وليس ذلك لشيء خارج من جوهره

ويفيض من الاول وجود الثاني ، فهذا الثاني هو ايضاً جوهر غير متجسم اصلاً فهو يعقل ذاته ويعقل الاول ، وليس ما يعقل من ذاته غير ذاته فبما يعقل من الاول — يلزم عنه وجود ثالث وبما هو (اي الثاني) متجوهر بذاته التي تخصه يلزم عنه وجود السماء الاولى . والثالث ايضاً وجوده لا في مادة ، هو بجوهره عقل ، وهو يعقل الاول ، فبما يتجوهر به من ذاته التي تخصه يلزم عنه وجود كرة الكواكب الثابتة ، وبما يعقله من الاول يلزم عنه وجود رابع. وهذا الرابع بما يتجوهر به من ذاته يلزم عنه وجود كرة

زحل . ثم الخامس هو عقل كرة المشتري ، والسادس عقل كرة المريخ . والسابع عقل كرة الشمس . والثامن عقل كرة الزهرة . والتاسع عقل كرة عطارد . والعاشر عقل كرة القمر . والحادي عشر ينتهي عنده الوجود الذي لا يحتاج الى مادة . وهي الاشياء المفارقة التي هي في جواهرها عقول ومعقولات ، وعند كرة القمر ينتهي وجود الاجسام السموية ، وهي التي بطبيعتها تتحرك دوراً . الموجودات التي بعد هذه هي التي ليست في طبيعتها ان توجد في الكمالات الافضل في جواهرها منذ اول الامر ـ بل انما شأنها ان يكون لها اولاً انقص وجوداتها ـ فيترقى شيئاً فشيئاً الى ان يبلغ كل نوع منها اقصى كماله في جوهره ، ثم في سائر اعراضه . هذه الموجودات اخسها المادة الاولى المشتركة . والافضل منها الاسطقسات ثم المعدنية ، ثم النباتات ، ثم الحيوان غير الناطق ، ثم الحيوان الناطق ، وليس بعد الحيوان الناطق افضل منه

ويقول : القوة الناطقة ضربان ـ نظرية وعملية ـ فالنظرية منها تعقل المعقولات التي شأنها ان تعلم . والعملية منها تعقل الجزئيات الحاضرة والمستقبلة والمتخيلة مواصلة لضربي القوة الناطقة فان الذي ينال القوة الناطقة عن العقل الفعال قد يفيض منه على القوة المتخيلة ـ فيكون للعقل الفعال فعل ما تعطيه احياناً المعقولات التي شأنها ان تحصل في الناطقة النظرية وأحياناً الجزئيات المحسوسات التي شأنها ان تحصل في الناطقة العملية ـ فتقبل (المتخيلة) المعقولات بما يحاكيها من المحسوسات التي تركبها هي ـ وتقبل الجزئيات احياناً بأن تتخيلها كما هي وأحياناً بأن تحاكيها بمحسوسات اخر ، وهذه هي التي شأن الناطقة العملية ان تعملها بالروية ـ فمنها حاضرة ومنها كائنة في المستقبل

الرؤيات قد تكون في اليقظة في الاقل من الناس ، فأما التي في النوم فأكثرها الجزئيات وأما المعقولات فقليلة

ثم قال ان القوة المتخيلة قد ترسم في الحاسة المشتركة ، فتنفعل الباصرة من تلك الرسوم فترسم فيها ويحصل عنها رسوم ما يعطيه العقل الفعال في الهواء المضيء المواصل للبصر ، فيصير ما اعطاه العقل الفعال من ذلك مرئياً لهذا الانسان ، لا يمتنع ان يكون الانسان اذا بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمال ـ يقبل في يقظته عن العقل الفعال

الجزئيات الحاضرة والمستقبلة او محاكياتها من المحسوسات، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة ويراها ، فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة الاشياء الالآهية. فهذا هو اكمل المراتب التي تنتهي اليها القوة المتخيلة ودون هذا من يرى جميع هذه بعضها في يقظته وبعضها في نومه ومن يتخيل هذه الاشياء ولا يراها ببصره ويتفاوت هؤلاء تفاوتاً كثيراً. وقد تعرض للانسان عوارض تفسد تخاييله فيرى اشياء مما تركته القوة المتخيلة مما ليس لها وجود ولا هي محاكية لموجود وهؤلاء الممرورون المجانين وأشباههم

ابن مسكويه

يقول ابن مسكويه في كتابه تهذيب الاخلاق ـ في المقالة الاولى : النفس جوهر ليس بجسم ، وأنه شيء آخر مفارق للجسم وهذا هو العقل ـ دليله على ذلك ـ ان النفس لا تستحيل ولا تتغير بخلاف الجسم وأجزائه وأعراضه ـ (٢) بأنها تقبل صور الاشياء كلها على اختلافها من المحسوسات والمعقولات على التمام من غير زوال رسم ، بل يبقى الرسم الاول تاماً وتقبل الرسم الثاني ايضاً تاماً ـ ولا تزال تقبل صورة بعد صورة من غير ان تضعف ، بل تزداد الصورة الاولى قوة على ما يرد عليها من الصور الاخرى يقول: اما الجسم فلا يقبل نقشاً على كماله بعد نقش الا اذا زال الاول كما يرى ذلك في الشمع مثلاً . ثم النفس ليست عرضاً محمولاً للجسم بل حاملة له اتم من حمل الاجسام للاعراض . بخلاف العرض فانه محمول ابداً ولا يحمل عرضاً . وكذلك يحصل في النفس في قوتها الوهمية الطول والعرض والعمق وأي كيفية من كيفيات الجسم كاللون والروائح فلا تصير بذلك جسماً ولا طويلة او عريضة او عميقة او ذات لون او رائحة . وهي تقبل كيفيات الاجسام المتضادة في حالة واحدة بالسواء . واذا تخلت النفس عن الحواس بأكثر ما يمكن ازدادت قوة وكمالاً وظهرت فيها الآراء الصحيحة ، أما الجسم فيزداد بمباشرة الشهوات والمحسوسات قوة وكمالاً لانها اسباب وجوده قال وهذا ادل دليل على ان جوهر النفس وطباعها غير جوهر الجسم وطباعه . وأيضاً فان تشوقها الى معرفة الامور الالآهية وميلها الى الامور التي هي افضل من الامور الجسمانية وانصرافها عن الامور واللذات

الجسمانية يدلنا انها من جوهر اعلى من الامور الجسمانية . لانه لا يمكن في شيء من الاشياء ان يتشوق الى ما ليس من طباعه ولا ينصرف عما يكمل ذاته . فاذا كانت افعال النفس اذا انصرفت الى ذاتها فتركت الحواس مخالفة لافعال البدن ومضادة لها في اراداتها فلا محالة ان جوهرها مفارق لجوهر البدن ومخالف له في طبعه . وأيضاً فان النفس وان كانت تأخذ كثيراً من مبادي العلوم عن الحواس فلها من نفسها مبادىء اخرى وأفعال لا تأخذها عن الحواس ، وهي المبادىء العالية التي تبنى عليها القياسات الصحيحة ، وذلك انها اذا حكمت انه ليس بين طرفي النقيض واسطة ، فانها لم تأخذ هذا الحكم عن شيء آخر لانه اولى ، وأيضاً فان الحواس تدرك المحسوسات فقط ، فأما النفس فانها تدرك اسباب الاتفاقات وأسباب الاختلافات من المحسوسات وهي معقولاتها التي لا تستعين عليها بشيء من الجسم ، وكذلك اذا حكمت على الحس انه صدق او كذب فليست تأخذ هذا الحكم عن الحس لانه لا يضاد نفسه فيما يحكم فيه. قال : ثم ان النفس اذا علمت انها قد ادركت معقولاتها فليست تعلم هذا العلم من علم آخر . لانها لو علمت هذا العلم من علم آخر لاحتاجت في ذلك العلم ايضاً الى علم آخر وهذا يمر بلا نهاية ، فاذن علمها بأنها علمت ليس بمأخوذ من علم آخر بل هو من ذاتها وجوهرها ـ اعني العقل ـ وليست تحتاج في ادراكها ذاتها الى شيء آخر غير ذاتها ، فلهذا قيل ان العقل والعاقل والمعقول شيء واحد ، أما الحواس فلا تحس ذاتها

تشوق النفس الى افعالها الخاصة بها ـ ان كل موجود من حيوان ونبات وجماد ـ وكذلك بسائطها ـ وكذلك الاجرام العلوية لها قوة وملكات وأفعال بها يصير ذلك لموجود هو ما هو وبها يميز عن كل ما سواه، وله ايضاً قوى وملكات وأفعال بها يشارك ما سواه. ولما كان الانسان من بين الموجودات كلها هو الذي يلتمس له الخلق المحمود وجب ان لا ننظر في قواه وملكاته وأفعاله التي بها يشارك سائر الموجودات (وانما ننظر في) افعاله وقواه وملكاته التي يختص بها من حيث هو انسان وبها تتم انسانيته وفضائله . فهي الامور الارادية التي بها تتعلق قوة الفكر والتميز . والنظر فيها يسمى الفلسفة العملية . والاشياء الارادية التي تنسب الى الانسان تنقسم الى الخيرات

والشرور. وذلك ان الغرض المقصود من وجود الانسان اذا توجه الواحد منا اليه ـ يسمى به خيراً او سعيداً ، وأما من عاقه عنه عوائق فهو الشرير الشقي ـ فاذاً الخيرات هي التي تحصل للانسان بارادته وسعيه في الامور التي لها اوجد الانسان . والشرور هي الامور التي تعوقه عن هذه الخيرات بارادته وسعيه او كسله وانصرافه والخيرات اقسام كثيرة . كل من كان تمييزه اصح ورويته اصدق واختياره افضل ، كان اكمل في انسانيته

الانسان احرى بأن يحط عن مرتبته الانسانية الى مرتبته البهيمية ـ ان صدرت افعاله عنه ناقصة غير تامة . فاذا صدرت عنه افعاله بقصد ما اعد له ـ اعني بالشرور التي تكون بالرؤية الناقصة ـ لاجل الشهوة او الاغترار بالامور الحسية التي تشغله عما عرض له من تزكية نفسه التي ينتهي بها الى الملك الرفيع والسرور الحقيقي ، فهو حقيق بالمقت من خالقه وتعجيل العقوبة له

سعادة الانسان تكون في صدور افعاله بحسب تمييزه ورويته ولهذه السعادة مراتب كثيرة (وكذا) اضدادها من الشقاوات اجناس . ولما كانت الخيرات الانسانية وملكاتها التي في النفس كثيرة ، ولم يكن في طاقة الانسان الواحد القيام بجميعها وجب ان يقوم بجميعها جماعة كثيرة منهم ولذلك وجب ان تكون اشخاص الناس كثيرة وأن يجتمعوا على تحصيل هذه السعادات المشتركة لتكميل كل واحد منهم بمعاونة الباقين له ويتم للجميع بمعاونة الجميع الكمال الانسي . ولاجل ذلك وجب على الناس ان يحب بعضهم بعضاً لان كل واحد يرى كماله عند الآخر ، ولولا ذلك لما تمت للفرد السعادة ، فيكون اذاً كل واحد بمنزلة عضو من اعضاء البدن وقوام الانسان بتمام اعضاء بدنه

قوى النفس وأجناس الفضائل: تنقسم النفس الى ثلاثة: اعني القوة التي بها يكون الفكر والتمييز والنظر في حقائق الامور ـ والقوة التي بها يكون الغضب والنجدة والاقدام على الاهوال والشوق الى التسلط والترفع وضروب الكرامات . والقوة التي بها تكون الشهوة وطلب الغذاء والشوق الى الملاذ التي في المآكل والمشارب والمناكح وضروب اللذات الحسية وهذه الثلاث متباينة. ويعلم من ذلك ان بعضها اذا قوي اضر بالآخر،

وربما أبطل أحدهما فعل الآخر ، وربما جعلت نفوساً ـ وربما جعلت قوى النفس واحدة الخ

ابن مسكويه

الختصر الفلسفي لخلقياته

الله هو الخير الاول فان جميع الاشياء تتحرك بالشوق اليه،فأما السعادة فهي الخير بالاضافة الى صاحبها وسعادة كل شيء في كماله الذي يخصه.الكمال الذي يختص بالانسان نوعان ـ ذلك أن فيه قوتين أحداهما العالمة والاخرى العاملة فاذا كمل الانسان بالجزء العملي وبالجزء النظري فقد سعد السعادة التامة ـ السعيد تكون لذته عقلية لا حسية وفعلية لا انفعالية ـ اذا صار الانسان الى غاية ما يمكن أن يبلغ اليه من قبول قوة العقل فيصير في الافق الذي بين الانسان والملك ويصير فيه القابل للوحي والمطيق لحمل الحكمة ، فتفيض عليه قوة العقل ويسبح اليه نور الله . الانسان بالخير الجسماني مقيم في هذا العالم السفلي مدة قصيرة حتى اذا ظفر بهذه المرتبة على الكمال انتقل الى العالم العلوي وأقام فيه سرمداً . قوى النفس الثلاث دونها النفس البهيمية وأوسطها السبعية وأشرفها النفس الناطقة ـ فأشرف الناس من كان حظه من هذه النفس (الناطقة) أكثر وانصرافه اليها أتم . كل خلق يمكن تغييره ـ فالانسان ينتقل بالتأديب والمواعظ أما سريعاً أو بطيئاً . وهب الله لنا النفس الغضبية لنستعين بها على تقويم البهيمية . الاسباب المولدة للغضب هي العجب والافتخار والمراء والمزاح والغدر والضيم أو طلب الامور التي يتنافس فيها الناس وشهوة الانتقام غاية لجميعها وهاك قصيدته في النفس

هبطت اليك من المحل الارفع	ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف	وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما	كرهت فراقك وهي ذات تفجع
ألفت وما سكنت فلما واصلت	ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهوداً بالحمى	ومنازلاً بفراقها لم تقنع
حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها	عن ميم مركزها بذات الاجرع

علقت بها ثاه الثقيل فأصبحت ... بين المعالم والطلول الخضع
تبكي وقد ذكرت عهوداً بالحمى ... بمدامع تهمى ولما تقلع
وتظلّ ساجعة على الدمن التي ... درست بتكرار الرياح الاربع
اذعاقها الشرك الكثيف وصدها ... قفصٌ من الاوج الفسيح المربع
حتى اذا قرب المسير من الحمى ... ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع
وغدت محالفة لكل مخلّف ... عنها حليف الترب غير مشيّع
سجعت وقد كشف الغطاء فابصرت ... ما ليس يُدرَك بالعيون الهُجّع
وغدت تغرّد فوق ذروة شاهق ... والعلم يرفع كل من لم يُرفعِ
فلأي شيء أهبطت من شاهق ... عال الى قفر الحضيض الاوضع
ان كان اهبطها الآله لحكمة ... طويت على الفذ اللبيب الاروع
وهبوطها ان كان ضربة لازب ... لتكون سامعة بما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية ... في العالمين نخرقها لم يرقع
وهي التي قطع الزمان طريقها ... حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنها برق تألق بالحمى ... ثم انطوى فكأنه لم يلمع

ابن سينا

ويقول ابن سينا : النفس الناطقة « اي الانسانية » وهي جوهر واحد ـ وهي كمال اول لجسم طبيعي آلي ـ ولها وجهان :

(١) وجه الى البدن وهي بهذا الاعتبار تسمى قوة عاملة وعقلاً عملياً ـ وهي سائسة البدن

(٢) وجه الى المبادىء العالية اي الى الصور الكلية المجردة وهي بهذا الاعتبار تسمى قوة عالمة وعقلاً نظرياً ولها مراتب اربع تسمى عقولاً نظرية ثم هناك مرتبة فوق القوى الانسانية الاعتيادية وهي المرتبة النبوية وهي عقل قدسي

ثم يقول في كتابه النجاة ـ « وهو مختصر الشفاء »

فصل في ان النفس لا تموت بموت البدن : نقول انها لا تموت (النفس) بموت البدن ولا تقبل الفساد لان كل شيء يفسد بفساد شيء آخر فهو متعلق به نوعاً من التعلق فاما ان يكون تعلقه تعلق المكافىء في الوجود واما ان يكون تعلق المتأخر عنه في الوجود واما ان يكون تعلق المتقدم عليه في الوجود وذلك امر ذاتي لها لا بالزمان . فان كان تعلق النفس بالبدن تعلق المكافىء في الوجود وذلك امر ذاتي لها لا عارض ، فكل واحد منهما مضاف الذات الى صاحبه فليس لا النفس ولا البدن بجوهر لكنهما جوهران وان كان ذلك أمراً عرضياً لا ذاتياً فاذا فسد احدهما بطل العارض الآخر من الاضافة ولم تفسد الذات بفساده . وان كان تعلقه به تعلق المتأخر في الوجود فالبدن علة للنفس في الوجود والعلل أربع ومحال ان يكون البدن علة فاعلية فان الجسم بما هو جسم لا يفعل شيئاً وانما يفعل بقواه ثم القوى الجسمانية كلها اما اعراض وأما صورة مادية ومحال ان تفيد الاعراض أو الصور القائمة بالمواد وجود ذات قائمة بنفسها لافي مادة ومحال أيضاً ان يكون (البدن) علة قابلية فقد بيناو برهنا ان النفس ليست منطبقة في البدن بوجه من الوجوه ومحال ان يكون (البدن) علة صورية للنفس أو كمالية فان الاولى ان يكون الامر بالعكس فاذن ليس تعلق النفس بالبدن تعلق معلول بعلة ذاتية . نعم البدن . والمزاج علة بالعرض للنفس فانه اذ لاحدث مادة بدنه يصلح ان يكون آلة النفس ومملكة لها أحدثت العلل المفارقة النفس الجزئية القسم الثالث هو أن يكون تعلق النفس بالجسم تعلق المتقدم في الوجود (أي ان تكون النفس متقدمة على البدن) فاما ان يكون التقدم زمانياً فيستحيل ان يتعلق وجودها به وأما ان يكون التقدم في الذات لافي الزمان وهذا النحو من التقدم هو ان تكون الذات المتقدمة كلما توجد يلزم ان يستفاد عنها ذات المتأخر في الوجود وحينئذ لا يوجد هذا المتقدم في الوجود اذا فرض المتأخر قد عدم ، لا ان فرض عدم المتأخر أوجب عدم المتقدم ولكن لان المتأخر لا يجوز ان يكون عدم الا وقد عرض أولاً بالطبع للمتقدم ما اعدمه . واذا كان كذلك فيجب ان يكون السبب المعدم في جوهر النفس فيفسد معه البدن وان لا يكون البتة البدن يفسح بسبب يخصه لكن فساد

البدن يكون بسبب يخصه من تغير المزاج أو التركيب فباطل ان تكون النفس تتعلق بالبدن تعلق المتقدم بالذات فقد بطل أنحاء التعلق كلها و بقي ان لا تتعلق النفس في الوجود بالبدن بل تعلقه في الوجود بالمادة الاخرى التي لا تستحيل ولا تبطل وانها لا تقبل الفساد فأقول تأييداً لذلك ان الاشياء المركبة والاشياء البسيطة التي هي قائمة في المركبة يجوز ان يجتمع فيها فعل ان تبقى وقوة ان تفسد وفي الاشياء البسيطة المفارقة الذات لا يجوز ان يجتمع هذان الامران . فقد بان اذن ان النفس البتة لا تفسد والى هذا سقنا كلامنا

باسكال

يقول : الناس جميعهم يطلبون السعادة — وليست السعادة خارجاً عنا ولا هي فينا ولكنها في الله خارجاً وداخلاً . ليس عند الانسان الا علاقة السعادة واشارتها الجوفاء التي لا يمكن ان يملأها الا الله (فالله) هو خير الانسان الحقيقي لا شيء سواه. لم يصل احد الى تلك الغاية الا بالايمان . اخضع أيها العقل العاجز واسمع من الله الخبر عن حالتك الصحيحة (يجب ان يسلم الانسان بالتنزيل)

مالبرانش

يقول : اني أقضي بأن الله موجود أي بأن الكائن الكامل كمالاً لانهائياً موجود لأني أدركه والعدم لا يمكن ان يدرك — فلا يمكن اذن ان تدرك اللانهاية فيما هو نهائي

من الثابت ان الروح يلاحظ اللانهائي وان لم يحزه او (يفهمه) وهو يدرك تلك الفكرة قبل فكرة النهائي المحدود فاننا ندرك الكائن اللانهائي من كوننا ندرك الكينونة من غير ان نفكر في انها هل هي محدودة ام لا نهائية . اما ادراكنا كائناً محدوداً فيقضي ان نحذف شيئاً من خبرنا بالكينونة العمومي المذكور

ثم يقول : الله متصل بنفوسنا اتصالاً ضيقاً بحضوره فيجوز ان يقال انه محل الارواح . نحن متحدون بغير واسطة بكلمة الله اي بالعقل الالهي نرى جميع الاشيا

في الله . من الممكن ان نرى في الله كل الاشياء ولكننا لا نرى فيه الا الاشياء التي لنا فكراتها. روح الانسان غير مادي اي غير ممتد فهو اذن جوهر بسيط غير قابل للتقسيم ولا مركب من اجزاء

توماس هوبس

يقول : العادة شديدة التأثير في الطباع ـ لان الاشياء المخالفة للطبيعة الانسانية والمكروهة لها تصير مألوفة بالتعود ــ بل تصير موضوع محبتها

ان الحياة حركة مستمرة دائمة ــ فاذا امتنعت استقامتها تحولت الى حركة دورية

الدين غير الفلسفة فان القانون يعززه في كل دولة ، وليس يجوز الاخذ والرد فيه بل القيام بواجباته . لا ريب انه يجب ان يتقي الانسان ربه وأن يحبه اي يطيع فروضه ـ هذا هو اساس الاديان جميعها ــ عند كل الشعوب ، اما مواضيع الجدل فغير ذلك . يعرف الانسان فروض الله . فانه تعالى قد تجلّى للانسان بواسطة عقله ، وكتب في قلبه ان لا يفعل ما لو فعله غيره به لنسبه الى الظلم ـ هذا الغرض هو ملخص العدل المدني ـ وهو الواجب الانساني من طرف الله

كلمة الله هي العقل الصحيح ، والشرائع الالهية هي شرائع الطبيعة . الاسماء التي نطلقها على الله لا تعبر البتة عما هو الله ـ بل هي اشارات تدل على اعجاب ممن يعزز الله

مذهب ديكارت

انا افكر فأنا اذن حي (كائن)

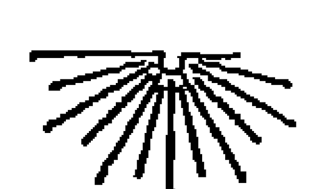
يقول: يدلنا الايمان على ان السعادة الاخروية ان هي الا النظر الى الجلال الالهي، فنحن نشعر منذ الآن بأن التأمل (في الامور الالهية) ولو انه اقل كمالاً بكثير من ذلك النظر ـ الا انه مع ذلك يجلب لنا الرضاء وأوفر قسط من السعادة نستطيع ادراكه في هذه الحياة الدنيا . لا يستطيع اي شيء ان يحرمنا السعادة ما دام هذا الشيء لا يقوى على ان يكدر صفو عقولنا . حسب النفس القيام بالواجب ومعالجة الفضيلة لنعيش عيشة راضية هنيئة قانعة

ان السبيل التي تقتادنا الى محبة الله (العقلية) هي اعتباره روحاً او شيئاً مفكراً ـ

هنالك يكون بعض المماثلة بين طبيعته وطبيعة انفسنا . انا شيء مفكر ـ اي روح ـ اي فهم او عقل ـ اي شيء يشك و يدرك ، و يثبت و ينكر ، و يقبل و يأبى ، و يتخيل ويحس . وليس يوجد في هذه المعرفة الاولى سوى شيء واحد يجعلني على يقين من الحقيقة ـ ذلك الشيء هو وضوح و بيان ادراكي لما اقوله . كل الاشياء التي ندركها ادراكاً واضحاً جداً و بيناً جداً ـ هي كلها حقيقية. تترتب الحقيقة على الكينونة والبطلان على اللاكينونة فحسب

يدرك الانسان فكرة ذات نفسه واضحة جلية من حيث كونه شيئاً مفكراً وغير ممتد ـ و يدرك فكرة بدنه ظاهرة بينة من حيث كونه شيئاً ممتداً غير مفكر ـ وظاهر من ذلك ان (الأنا) اي نفسي او ذاتي التي بها اكون ما اكونه هي مميزة تماماً وحقاً عن بدني وأنها تستطيع ان توجد من غيره

النفس متصلة بالبدن كله والظاهر ان الجزء الذي تؤدي فيه النفس وظائفها بدون وساطة ـ هو شيء مثله مثل اللوزة الصغيرة موجود في وسط الدماغ



في التصوف

اسلفنا في ما سقناه من آراء ، وأزجيناه من فكرات ، ان الشرق مشرق الانوار، ومطلع الفيوضات ، ومبعث الظهورات ، وأن الغرب مهما بلغ من شأو بعيد في المدنية والحضارة ، فانه غير بالغ ما بلغ اليه الشرق في هذه السبيل

ولولا ان الغربيين على ناحية التعميم والاطلاق يتبعون ملة السيد المسيح بن مريم، ويؤمنون بكماله من كل قلوبهم لنحلونا التخريف ورمونا افكاً بكل منقصة ـ وقالوا اننا نعيش مع الخيال وأن الجهل قد فصل بيننا وبين الحقيقة

على حين ان جماعة من اهل الغرب،وثلة من المتعبدين هناك في ذلك الجو يشتغلون بالتصوف ، ويعمدون الى تطهير النفس مما غشيها من غواشي المادة ، ويحاولون ان يصلوا بجهادهم الدائم ، وجلادهم المستمر بين الطبيعتين — الى ما وصل اليه الصوفيون في الشرق — وهيهات لهم ذلك — لأن الشرق شرق والغرب غرب ، ولأن للجو تأثيراً فعالاً في تنضيج العقول وترقية النفوس ، فمناخ اكثر الاقاليم في اقطار الشرق ملائم للتصوف ، واعتدال الهواء فعال هو الآخر في المزاج وما يحوطه من المؤثرات .

وما نحن براغبين في استزادة الحديث واستقصاء الكلام على التصوف والصوفية في كل جو من الاجواء ، وليس الموقف بحاجة الى ذلك ، وانما نحن نلمع الماعاً بنتف مما نحتاجه من كلام اصحاب هذا المذهب توضيحاً لما في كتاب «راجا يوجا» وتبييناً لما جاءنا به هذا المذهب ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى من أجل المقابلة ،بين تصوف اليوجيين وتصوف المصريين وهما يرميان الى غاية واحدة ويتنفسان نفساً واحداً .

انظر كيف يصطنع (اليوجي) المرانة على حركة التنفس بتكرار لفظة (أم) وقابل بين هذا وما يعالجه الصوفيون المسلمون من الذكر وتكرار لفظة (الله) على اختلاف النغمات لتتعرف وجه المقابلة بيننا وبينهم ومقدار الاتفاق بين الحالين

أما الغربيون فمهما حاولوا الصفاء ، وتمحلوا للتصوف ، فأنت غير واجد فيهم من

نبه في ذلك أو تفوق . أين الظهورات ، أين الكرامات ، أين هاته الحالات الغريبة المدهشة التي نأنسها كل يوم و بين كل جيل من أجيال الصوفية ؟ أين هذه كلها بين الملأ الغربي ؟؟

الآن وقد فرغنا من سرد آراء الفلاسفة في النفس وحالاتها وعلاقتها بالجسم ومظاهرها وانتهينا الى الشطر الاخير من مذهب راجا يوجا — (التصوف) فانما يحدونا هذا الى ان نتمحل لبعض آراء المفسرين ، وأفكار المتصوفين فيما يتسق والتصوف و يتفق وآراء « اليوجيين» في سبيل الجهاد القائم بين الطبيعة المادية والطبيعة الروحانية أي بين الناسوت والروح فنقول

يقول اليوجا :

ان دراسة « راجا يوجا » تحتاج الى زمن طويل وصبر واناة وتمرين وتعويد ،وان بعض هذه الدراسة بدني - وأكثرها عقلي وضرب لذلك مثلاً فقال

ان ملاكاً وشيطاناً قصدا الى حكيم عظيم ليأخذا عنه الحكمة وليعلما منه ماهية النفس — وأنه قال لهما — ان الكائن الذي ينشدانه هو ـ هو يتهما فذهب بهما الظن الى ان جسميهما ـ النفس ـ وزعما أنهما وصلا وقالا لقد حصلنا على نشدانا وعادا الى قومهما فرحين مستبشرين في شغل ولهو ولعب . قال ولما كان الجهل والغباء والبلادة من طباع الشيطان ـ لم يعد يبحث عن شيء مكتفياً بما جاء من العلم زاعماً واهماً ان جسده هو النفس وان المراد بالنفس انما هو الجسم وانه وصل الى درجة الملائكة اذ ان هذا يسوى بينه و بين هذه الطبقة . أما الملاك فكان من طبعه الطهارة والرشد فتابع البحث ـ فهو بعد ان زعم ان النفس ـ الجسم عاودته الذاكرة فقال لست على صواب . ثم عاد الى ذلك المعلم يسائله مرة أخرى ويقول له اني ظننت ان النفس هي الجسم ولكن ما بالي أرى الاجسام جميعها صائرة الى الفناء والزوال.وأما النفس فباقية. فاجابه الحكيم ـ ان أبحث عن نفسك بنفسك . عندئذ ظن ان النفس هي القوى الحيوية التي تسير الجسم ـ بيد أنه ما لبث ان آنس في هذه القوى اضمحلالاً وفتوراً عند الجوع ، وقوة ونشاطاً وقت الشبع . فعاد يسائل المعلم ولكنه أجابه هذه المرة

أيضاً كسالفتها ــ فعاد الملاك وظن ان المعلم انما أراد بالنفس العقل ولكنه ما لبث ان أدرك ان الحركة العقلية في تغير دائم وتبدل مستمر ــ فتارة حسنة وطوراً سيئة وليس يمكن ان تكون هذه حال النفس ــ فعاد الى المعلم يسائله فقال له ابحث عن ذلك بنفسك. فعاد ووفق أخيراً الى أنه هو النفس فوق كل فكر لا تلد ولا تموت ولا تؤثر فيها الحراب ولا تحرقها النار ولا يجففها الهواء ولا يذيبها الماء العالمة بكل شيء

ان الجسم الانساني ــ هو اعظم الاجسام جميعها ــ كما ان الانسان هو أشرف المخلوقات ــ فهو أسمى من الحيوانات كلها وأرقى حتى من الملائكة وستهبط الملائكة هذه الارض وتنال خلاصها بالتجسد البشري. أما الانسان فانه هو الذي ينال درجة الكمال

قال ــ والمعروف عند اليهود وكذا المسلمين انه سبحانه وتعالى قد خلق الانسان بعد ان خلق الملائكة وغيرها من المخلوقات . وانه تعالى بعد ان خلق الانسان أمر الملائكة ان تسجد له ــ فسجدوا جميعهم الا ابليس الذي لعنه الله فصار شيطاناً

على انه ينبغي عند هؤلاء ان تكون عبادة الله خالصة لوجه الله لا رهبة من نار ولا رغبة في جنة

ولقد سمى الله تعالى الصلاة ايماناً في قوله «وما كان الله ليضيع ايمانكم» أي صلاتكم الى بيت المقدس فكأنه تعالى قال في هذه الآية الدين الجهاد وان كان للدين أركان غير الجهاد كما قال صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة » وان كان للحج أركان غير عرفة فمن أراد ان يعرف مقام الجهاد ومرتبته في هــذا الدين المحمدي فلينظر في هذه الآية ويعتبر ومنها يعرف تشديد الوعيد في التقاعد عن الجهاد والنكوص عنه حيث أطلق على ذلك لفظ الردة عن الدين

قال أحد أقطاب الصوفيين

«وأقول تبعاً للمحققين من أهل الله تعالى ان كل من عبد الله تعالى خوفا من النار أو طلبا للجنة ، أو ذكر لله تعالى لتوسعة رزق مثلا أو لصرف الوجوه اليه ، وهو الجاه أو لدفع شر ظالم أو سمع في الحديث من فعل العبادة الفلانية أو ذكر الذكر الفلاني أعطاه الله تعالى كذا وكذا من الاجر فهذه كلها عبادة معلولة ، ليست عند الله بمقبولة

الا بالفضل والمنة الا أن تكون هذه الاشياء المذكورة غير مقصودة بان كان خطورها تابعاً لا حاملا ، فلا بأس »

على ان الناس يختلفون باختلاف امزجتهم ويتباينون بتباين نزعاتهم قال صلى الله عليه وسلم يوم حنين : انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وسئل صلى الله عليه وسلم عن أكرم الناس فقال أكرمهم عند الله اتقاهم فقالوا ليس عن هذا نسألك ، فقال أكرم الناس يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فقالوا ليس عن هذا نسألك فقال أعن معادن العرب تسألونني خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وفي الحديث الناس معادن كمعادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص

يقول اليوجيون :

أجمع جبابرة العقول من الحكماء والعلماء ـ اننا نشأنا من حال مطلقة واننا مظهر من مظاهرها ـ واننا سنعود الى تلك الحال. فاذا سلمنا بهذا فاي الحالين أصلح وأقوم سبيلاً ؟ حالتنا هذه أم الحالة المطلقة ؟؟

فمن الناس من يظن ان ما نحن فيه أفضل وأبقى . ويتوهم ان الانسان في الحالة المطلقة لا يحس ولا يشعر ولكنه يكون كالحجر الصلد ـ من أجل ذلك هم يتمسكون باهداب الدنيا واعراضها

قال : ولقد ذهب بعضهم إلى ان الانسان بعد أن يفارق هذه الحياة الدنيا لا يتغير عما كان عليه ـ ان خيراً فخير وان شراً فشر ويقولون ان الجنة ـ ان هي الا هذا العالم مجرد من الرذائل والشرور . على ان هذا لا يقوم على أساس من الحق والصواب ـ اذ لا يمكن أن نتصور خيراً دون شر او شراً دون خير

قال : ولقد رأى بعض المؤرخين ان الانسان خلق لكي يجد ويجتهد فهو مثابر على ذلك ما بقي فيه عرق ينبض ـ بيد انه لن يدرك ما يسعى له وتصبو اليه نفسه وهذا زعم باطل أيضاً لانه لا يمكن أن تكون حركة دائمة في خط مستقيم بل في خط دائري ـ فاذا استطعت أن تقذف بحجر في الفضاء على فرض انه لا يسقط ابداً فان

نهاية أمره انه يعود اليك وهو مصداق لقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)

ان الحاكم هو الله ـ هو الذي أنشأنا أول مرة واليه المآب ـ سمه الله أو الطبيعة أو أي اسم شئت. ان الانسان كان في أول خلقه طاهراً كاملاً ثم تدهور الى الحضيض الاسفل بحيث بلغ آخر الدائرة فلا بد أن يقفل راجعاً الى الله فمبدأه الله ووسطه الانسان ثم الى الله مرجعه

فاذا كانت حالتنا هذه ارقى الحالات فلم كل هذه الشرور والآثام والمخاوف . الا ان الحالة النفسية للانسان لتجعله في الحضيض والدرك الاسفل اذن فلا يعقل ان تكون هذه أرقى الحالات

ويرى بعض أصحاب الرأي ان ما في الوجود اما ان يكون مفكراً أو غير مفكر وما يدريهم ان تكون هناك حالة ارقى من الفكر — اننا مثلاً لا نرى الضوء متى كانت اهتزازاته ضئيلة جداً ومتى اشتدت ظهر لنا الضوء فاذا زالت هذه الشدة لا نراه — وهو ما يدحض القول القائل ان الانسان في اسمى حالاته يكون غير مفكر كجلمود صخر

فالله لا يحتاج لان يفكر لانه عالم ومحيط بكل شيء ويستنتج من ذلك ان هناك حالة ارقى من حالات الفكر ومتى تجاوزت هذه الحالة — دخلت في الحياة الحقة وأخذت سبيلك نحو الحق وخطوت الخطوة الاولى نحو الله

يقول الصوفيون :

العوالم ثلاثة عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الجبروت . فعالم الملك هو عالم الشهادة المدرك بالابصار الظاهرة ظاهر لظاهر . وعالم الملكوت هو باطن عالم الملك وهو المدرك بالبصائر الباطنة باطن لباطن . وعالم الجبروت عالم الاسماء المتحكم في الملك والملكوت وهو المدرك بالعقول فمن ادرك ببصره جسماً متحركاً مثلاً طلب مشاهدة محركه ببصيرته وأدرك المؤثر في المحرك والمتحرك بعقله مثلا

اراد الابصار بالبصيرة لا بالبصر والفرق كبير بين البصر والبصيرة وقد ورد من

عرف نفسه عرف ربه فمعرفة النفس مقدمة لمعرفة الرب فانه تعالى خلقها ليرتقي بها الى معرفة الرب فمعرفتها اصل

يقول اليوجيون

ليست العين هي التي ترى المرئيات وانما ذلك من عمل العصب المتصل بالمخ فاذا نزعت هذا العصب تعطلت اعمال العين وعادت لا ترى شيئاً. اذن يكون عضو البصر هو العصب هو ذلك العصب المذكور ـ وقد يكون الانسان في نومه فاتحاً عينه ولكنه لا يرى شيئاً وقد تمر العربات الى جواره ولكنه لا يسمعها ذلك لانه لم يكن هناك اتصال بين العصب وعضو السمع ـ فيكون ان احساسك يتم بامور ثلاثة : (١) آلة الحس (العين او الاذن وعضو الحس (العصب) والعقل ـ ومتى وصل الحس الى العقل تعمل فيه قوى مختلفة ـ وكانت فيه خواطر وأفكار تموج موج المياه في البحر . يقول اليوجا ـ ان من وراء هذه قوة تظهر الاشياء على حقيقتها فما نراه وتدركه عقولنا ـ مدلول الاشياء فحسب ـ وأما الحقيقة فهي وراء ذلك . وضرب لذلك مثلاً فقال ان المرء لا يستطيع ان يرى قاع البحيرة متى تلاطمت فيها الامواج ، وكان ماؤها قذراً ـ فشبه النفس بقاع البحيرة اي انه متى صفا العقل واطمأن الخاطر ـ عرف الانسان نفسه وأدرك الحقائق

هناك وقت ان نستجمع افكارنا تستقر النفس في مستقرها غير المتغير فندرك حياتنا ونعرف انفسنا معرفة حقة

اخلاء الذهن من كل مؤثر خارجي يكون بالتعويد والتمرين

يقول اليوجا ان النفس فوق كل ظاهرة تظهر في الطبيعة فهي ساطعة بماهيتها نقية طاهرة مطهرة ، وأن كل ما نتوسمه من كمال وجمال في الطبيعة ، ان هو الا انعكاس النفس ، وأنه حتى العقل هو ايضاً داخل ضمن الطبيعة

ثم يقول : ان الطبيعة هي التي طمست على النفس فاذا امكن ان يشف غلاف النفس الذي حاكته الطبيعة تجلت بمظاهر كمالها وانسرحت من كل قيد

يتدرج اليوجي اذا ما عالج الرياضة — بالتفكير فيما يحوطه من الاشياء موجهاً كل

فكره صوب امر ما ، ثم هو يفكر في العقل ذاته ثم يتدرج من هذا الى التفكير في النفس فيفكر في نفسه كانه مجرد من الجسم

متى بلغ اليوجي الى ما بعد الحس ، اذا ما بلغ هذه الدرجة ــ اطلقت النفس من كل الروابط والقيود وصارت حرة مطلقة . ومن الناس من يبلغون هذه الدرجة عن طريق الايمان والذكاء النادر واستجماع القوى

ثم يقول : فكر في ذلك النور الذي ليس من ورائه احزان ــ فكر في جمّاع عروق القلب وفروعه من اسفله ــ حيث يمر فيه العصب المركزي للعمود الفقري ثم تنفس شهيقاً وزفيراً ــ وفي تلك الاثناء تصور ان جمّاع العروق قد تغير وأن نوراً ساطعاً ينير هذه الاعصاب

فكر في ذلك القلب الذي تجرد من كل رابط بالمحسوسات ــ فكر في وليّ من الاولياء ، او في مخلوق تجله وتعزه ممن زهدوا في كل عرض من اعراض هذه الحياة الدنيا

فكر فيما يأتيك من المعرفة في نومك ، وقد يرى الانسان في احلامه ان ملائكة تهبط اليه من السماء وتحاكيه ، وأنه مأخوذ في حالة غير عادية ــ تصور ان هذه الاحلام حقيقية وأنها كانت معك في حالة الصحو ــ من هذه التفكيرات والتأملات يتغير العقل ويتبدل الانسان فيكون له شأن آخر

ثم يقول : ان كبح جماح الشهوات والتأمل والاكباب على الدرس وعمل الخير والبر ابتغاء مرضاة الله ــ كل هذه شؤون واجبة يتخذها الطالب خطوة اولى في سبيله صوب ما ينشده

يرى اليوجا ان الانسان في مقدوره ان يحول جسمه الى صورة وشكل وحالة لا يكون للمرض عليه سلطان وحتى الموت ، قال : والرأي عند علماء وظائف الاعضاء ان الطعام انما كان الغرض منه ان يمد الجسم بقوة وفرها له من الشمس ــ ذلك بأن النبات يستمد قوته من الشمس والحيوان يستمدها من النبات ونحن نستمدها من الاخير ــ فلم لا نستمدها من الشمس مباشرة ــ وعند اليوجيين انك بالعقل تستطيع ان تستمد ما تريده من قوة من الشمس مباشرة

يقول اليوجا : بتكرار كلة (ام) تصل الى الآله الذي تنشده وبتضحية كل شيء في سبيل الله العزيز الحكيم تصل الى ما بعد الطبيعة

يقول اليوجا : اذا وصلنا الى العقل وتحوله بحيث يمكن للعاقل اذا سمع صوتاً ان يعرف الغرض منه في الحال وعما اذا كان صادراً من حيوان او انسان ـ ويعرف الماهية الادراكية عند انسان آخر اذا اطلع على ما في جسمه من العلامات

يقول . وقد يخفي اليوجي عن انظار الحاضرين وهو مقيم معهم متى عمل السيماما على جسمه

في قدرة اليوجي معرفة اليوم بل الساعة بل الدقيقة التي تفارق فيها روحه جسده . وفي وسعه ان يصل الى ان يكون كالفيل قوة اذا هو عمل السيماما ويعرف ما هو حاصل في جهات وأنحاء نائية ويرى ما لا تراه الابصار متى وجه السيماما الى النور الساطع الخ. وكذا يصير خفيف الجسم فيحلق في الجو متى وجه السيماما بين جسمه والاثير . ويسود على كل العناصر اذا وجه السيماما اليها

اذا فتحت القناة المسماة (سوسمتاه) وأخذ الفكر يخرج منها ادركنا ما وراء الحواس بل ما وراء العقل

قال تعالى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقال قد أفلح من زكاها يقول الصوفيون اعلم ان الانسان مجموع لطيف وكثيف وعال وسافل ونور وظلمه فانه بين أب وأم فأبوه الروح وأمه العناصر الطبيعية فصفات الاب الروح كلها خير محمودة ممدوحة وصفات الام الطبيعة مذمومة ويقول الصوفيون ان النفس حقيقة واحدة ، ولكن تعددت باعتبار تعدد طبقاتها وتباين مقتضياتها ـ فيقال :أمّارةبالسوء ـ لوّامة، مطمئنة

قال تعالى حكاية لقول عيسى عليه السلام ومقرراً له « تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك » وهي حكاية حال آتية فان السؤال والجواب عنه بهذا انما يكون يوم القيامة تعلم ما في نفسي المقيدة التي هي نفسك المطلقة ولا أعلم ما في نفسك المطلقة التي هي نفسي المقيدة وان المقيد عنه المطلق مع زيادة تقييد فهو عينه عقلاً غيره خارجاً والنفس المطلقة اا تقيدت خارجاً تقيد علمها وجميع ما ينسب اليها من النسب فان المقيد لا يكون

أ

الا مقيداً علمه وادراكه وفعله وقدرته ولا يدرك الا مقيداً لا يدرك المطلق على اطلاقه أبداً فالمطلق لا يدرك انما يدرك في بعض الوجوه والاعتبارات والعلم الحقيقي هو الذي يحيط بالمعلومات من جميع وجوهه واعتباراته فلو أدرك ادراكاً حقيقياً لها مقيداً وانقلبت حقيقة وقد فرضناه مطلقاً وانقلابه بحقائق محال الخ

يقول أهل التصوف

الانسان وكل ممكن لا وجود له مستقلاً لا قديماً ولا حادثاً برهاناً وكشفاً ، أما الكشف فالعارفون يجمعون على هذا وأما البرهان فلأنه لو كان لممكن أي ممكن كان وجود مستقل معاين لوجود الحق تعالى فوجوده عارض لماهية الانسان الكامل مظهر جامع لجميع الحقائق الاسمائية التي تطلب العالم أعلاه وأسفله جواهره واعراضه . ومظهر أيضاً لجميع الحقائق الكونية فالمقولات العشر التي تجمع العالم كله متفرقة في العالم مجتمعة في الانسان

خلق العالم للانسان الكامل له ليظهر به «أي الانسان» فالعالم مخلوق بواسطة الانسان وبسعيه ، وحيث كان العالم مخلوقاً للانسان والانسان مخلوقاً له تعالى كان العالم مخلوقاً لله . قال وذلك لكلام جرى بيننا . فانه حضر بين أيدينا مؤلف من مؤلفات سيدنا رضي الله عنه ففتحته ، فاذا أوله الحمد لله الذي خلق العالم له فقلت له العالم مخلوق للانسان ، قال تعالى (وسخر لكم ما في السموات ومافي الارض جميعاً)

نتكلم عن الانسان الكامل هو المثل الاعلى للحق ظهر به تعالى للمدارك النورانية فهو الحق ومرآة العالم فمن رآه رأى الله تعالى ورأى العالم . ومن عرفه عرف الله وعرف العالم ، وبهذا ورد من عرف نفسه عرف ربه وأقول من عرف نفسه من حيث الظاهر والباطن عرف ربه وعرف العالم لان النفس جامعة لحقائق العالم وحقائق الحق تعالى وقال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم)

قالوا : وانما ذلك كظهور المعاني بالالفاظ وكظهور الظل عن ذلك الظل لان التجلي موضوع للرؤية ولذا قال ، سنريهم . وقد فعل وليس ذلك الا بتجليه في الآفاق

والانفس ، وليس تجليه في الآفاق الغابر لتجليه في الانفس وانما ذلك بمثابة المفصل من المجمل

(قول النبي صلى الله عليه وسلم) ان نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن

ويحذركم الله نفسه ، ونفس الشيء ذاته . ويقابل قولنا اغفر لنا وارحمنا وانصرنا وقوله اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ونحوه من الاوامر قال حجة الاسلام الغزالي رضي الله عنه ليس في الامكان ابدع ولا اكمل من هذا العالم . اذ لو كان وادخره لكان بخلا يناقض الجود وعجزاً يناقض القدرة مع ما تقدم في باب التوكل من كتابه احياء العلوم

قالوا . وكما ان المقابل للمرآة تظهر له صورته بحسب ، هي المرآة من الصفات وهو على غير تلك الصفات في ذاته وصفاته كذلك يقال في العلم ، الآله الوجود الذات الحق تتجلى الصور التي هي مزاياه بحسب استعداداتها وما تعطيه اعيانها الثابتة في جميع صفاتها وأحوالها ونعوتها

قالوا : لان تأثير الحق تعالى عين الفعل ، وتأثير العين صفته من كون طاعة او معصية كما يقول امام الحرمين

قالوا : كما ان الارادة نوعان ارادة متعلقة بالعقل نفسه ، فهذه نافذة الوقوع ،وارادة متعلقة بالفاعل ان يفعل ، فهذه غير نافذة التعلق الا اذا جامعتها الارادة الاخرى

قالوا : المغضوب عليهم هم الطوائف الذين ما عرفوا معبودهم ولا تصوروه الا بصورة محسوسة من نور ، وشمس وكوكب ووثن وصنم « والضالين » بمعنى الحائرين لان كل ضال حائر ، فهم الناظرون في ذات الله بعقولهم من حكيم فيلسوف ومتكلم . فانهم ضالون حائرون

سئل الحسن رضي الله عنه عن العارف والمعرفة قال: لون الماء لون انائه . وسكت يريد ان الماء لا لون له وانما يظهر متلوناً بلون الاناء . وكذلك الحق تعالى لا صورة له وانما يظهر بصورة العارف له

قال وكتب رحمه الله تعالى وعرفه بنفسه وبحقيقة العالم على طريقة الجذب لا على طريق السلوك فان السالك أول ما يحصل له الكشف عن عالم ثم عن عالم الخيال المطلق ثم ترقى بروحه الى السماء الدنيا ثم الى الثانية ثم الى الثالثة ثم الى العرش وهو

في كل هذا من جملة العوام المحجوبين الى ان يرحمه الله تعالى بمعرفته و يرفع عنه الحجاب فيرجع على طريقه فيرى الاشياء حينئذ بعين غير الاولى و يعرفها معه في حق

وكما أنه اذا وضعت شمعة مثلا موقدة في وسط مراية مختلفة الاشكال من تربيع وتسديس واعوجاج واستقام وصفاء وكدورة فترى تلك الشمعة في المرايا بحسب صفاة المرايا المتعددة النعوت والصفات، فالشمعة واحدة في ذاتها كثيرة بعدد المرايا وهي وان ظهرت في كل مرآة بحسب ما هي عليه المرآة فهي نزهة ، في حد ذاتها منه الحلول في المرايا وعن صفات المرايا هي ما هي عليه قبل الظهور بالمرايا كذلك يقال في العلم الالهي الوجود الذات الظاهر بالمناظر وان عددته المظاهر ونوعته الى ما لا يحصى من النعوت والاحوال والصفات فهو واحد نزيه عن التلون والتعدد والانتقال والحلول والاتحاد بالصور وهو بعد الظهور بالصور كهو قبل الظهور بالصور لا يلحقه تغير في ذاته

يقال في العلم الالهي جميع الآثار الكونية هي مرايا تظهر فيها وجه الحق العالى فالاثر هو نفس صورة المؤثر حيث الظهور وليس هو نفس المؤثر من حيث البطون اذ الاثر يوجد ويعدم على حسب ارادة المؤثر وتوجهه في المؤثر حقيقة من الوراء الاثر لا يتغير بالايجاد والاعدام فالآثار هي تجلياته تعالى يشهده العارفون فيها وهي الحجب له تعالى عن المحجوبين وكما ان المرآة اذا قابلت مرآة أخرى ظهرت من كل مرآة بما فيه في الاخرى كذلك قال في العلم الالهي المخلوق مرآة الخالق تعالى يرى فيها أسماءه أو قل يرى ذاته متعينة ببعض اسمائه والخالق تعالى النور . الوجود مرآة المخلوق يرى المخلوق صورته في مرآة الوجود النور تعالى فانه كالمرآة لظهور صورة المخلوق لها فأول المراتب عند من يعد الذات مرتبة الأحدية وهي الذات بشرط لاشيء أي بشرط الاطلاق فهي مرتبة بتجردها عن القيود الثبوتية فهي عبارة عن محل ذات ليس لشيء من الاسماء ولا لمؤثراتها في ظهور وانما هو ذات مجردة عن الاعتباوات الحقيقية والخليقة فهي مرتبة العدم المطلق كما قدمنا وانما قال من قال الاحدية الذاتية او المراتب مع أنها مرتبة العدم المطلق لما كان تعقل كل تعين يقضي بسبق اللائقين عليه من حيث هو هو

قال احدهم : فقلت نعم انا الحق حقيقة والخلق مجازاً وطريقه انا الممكن صورة

الواجب ضرورة اسم الحق لي هو الاصل واسم الخلق على العارية والفصل مقتضى الوحدة بظهور الاسماء فهي باطنة حال ظهورها

ونحن نعرف ما وقع للحلاج يوم ان قال : ما في الجبة غير الله

ونعرف ايضاً قول بعضهم :

العبـد رب والرب عبـد   يا ليت شعري من المكلف

وقالوا في التجليات : للذات الغيب المطلق تجليات وتعيينات وظهورات تسمى بالمراتب والتعيينات والمجالي والمنصات والمظاهر وهي الاسماء الالهية : والمخلوقات الكونية من العقل الاول الى آخر مخلوق لو كان للمخلوقات آخر

وقال ابو الغيث بن جميل رضي الله عنه : خضنا بحراً وقفت الانبياء بساحله السير الى الله تعالى له نهاية والسير في الله لا نهاية له

وقال آخر : ان كل من لم يسلك طريق القوم ، ويتحقق بعلومهم حتى يعرف نفسه لا يصح له اخلاصي ، ولو كان اعبد الناس وأورعهم

اذا قال ما قال في حال غلبة سكر وحال فهو غير مكلف فان شرط التكليف العقل وقد زال او قالها باذن آلهي كابن يزيد وأضرابه فهذا الصنف يحميه حاله من ان تناله ايدى الاغيار فلا تقل انا هو فان مفهوم انا غير مفهوم هو فهما ضدان يستحيل اجتماعهما وأما قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه كما ورد في الصحيح « واجعلني نوراً » اي اجعلني انت فانه تعالى هو انور فتلك حالة كانت تحصل له صلى الله عليه وسلم ولا تدوم ولا تقل انا غيره فانه كلام غير مفيد اذ الخالق غير المخلوق ضرورة فهو كقولك الماء غير النار والسماء غير الارض ولكن اتبع ما يبدو منه لك فان قال لك انا عينك وأنت عيني فاسمع واصمت وان قال لك انت غيري وانا غيرك فاسمع وامتثل وكل يوم هو في شأن ، اليوم هنا والجزء الذي لا يتجزأ من الزمان هو في شأن في ظهور بشأن والشؤون اقتضاءات ذاتية وكل اقتضاء له اسم بنصه يظهر به وهو الاقتضاء والاقتضاءات الذاتية لا نهاية لها فظهور الذات بالاسماء لا نهاية لها

وان تعجب لما تأنسه من الموافقة والمقاربة بين هذا وذاك ـ فعجب ما تقرأه في

آخر هذا الكتاب خاصاً بعجب الذنب . وعجب الذنب هذا عند اليوجي هو كل شيء في الانسان ـ فهو ان جاهد وجالد ، وان تريض وتمرن ، فهو ان فعل كل ذلك وصابر وثابر على ما فيه من مضض وشظف ، ومن تعب و بلاء ، وكد وعناء ، فما ذلك الا ليفتح السدادة الكائنة عند العجب ، يقول اليوجيون ان هذه السدادة اذا انفتحت فقد فتح على الانسان وصار كل شيء وعلم علم الغيب وكان كل ما يقع بخاطره او يساكن وجدانه امراً مقضياً

انظر الى هذا عند أصحاب هذا المذهب ثم قابل بينه و بين ما تلقاه في علم التوحيد عندنا خاصاً بعجب الذنب ـ يقول العلامة جلال الدين السيوطي

ثمانية حكم البقاء يعمها من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسي نار وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

ويقول البيجوري على الجوهرة :

عجب الذنب من اضافة المماثلة فقولهم عجب الذنب معناه عجب شبيه بالذنب وهو عظم كالخردلة في آخر سلسلة الظهر في العصعص مختص بالانسان كغرز الذنب للدابة بكسر الراء من باب ضرب وتشبيه الروح في جريان الخلاف في الفناء على نوعين والمشهور منهما انه لا يفنى

بل الى ما و رد في حديث الصحيحين ـ البخاري ومسلم ـ عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم انه قال : (ليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظماً واحداً وهو عجب الذنب منه خلق الخلق يوم القيامة)

وورد لحديث مسلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال: (كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب)

وقال أيضاً (ان في الانسان عظماً لا تأكله الارض ابداً)

الآن وقد فرغنا من سرد ما عنّ لنا سرده ، ومقابلة ما وفقنا اليه من آراء المتقدمين والمتأخرين في النفس والتصوف — الآن وقد انتهينا مما اتيح لنا ان نثبته في مقدمة كتاب راجا يوجا وهو قليل من كثير كنا نود ان تسمح لنا الظروف بعرضه

واظهار القراء الكرام عليه . بعد هذا كان حقاً وكان لزاماً علينا ان نبين السبب الذي حدانا الى نقل هذا المذهب الذي قد لا ينتفع به الا الخاصة دون الكافة فنقول : لقد وفقنا من عشر سنين الى هذا الكتاب فآثرنا نقله الى العربية لان فيه نفعاً وفيه فائدة وفيه خيراً وفيه براً وفيه فضيلة.ولقد تأتى لامريكي من علماء العالم الجديد ان يهاجر الى بلاد الهند لدراسة مذهب راجا يوجا ، وتهيأ له ان يتعرفه ويلم به الماماً علمياً تجريبياً ثم هو لم يقف عند هذا الحد ، بل تابع البحث في بعض الكتب المقدسة و بين جدران صوامع المتعبدين الذين زهدوا في هذا العالم وانتبذوا لهم مكاناً قصياً ، وكرسوا حياتهم للنسك والتبتل والعبادة والتخوشن فوصلوا الى الحقيقة وانتفعوا بهذا المذهب.وما نظن ولا نحسب ان كثيراً من ابناء هذا البلد وأفراد هذا الجيل يستطيعون ان يقوموا بواجب مذهب راجا يوجا ووصايا وتعاليمه ، لانها شديدة ولانها صعبة ثقيلة الاحتمال قل من يقوى على استمرائها وسيغها من اولي العزم وأصحاب النفوس الوثابة

بيد اني قد جربت بعض ما فيه من مرانات ، فوجدته نافعة صحياً وعقلياً ـ وهو الذي من اجله نزعت الى ترجمة الكتاب ـ زد على ذلك ان في دراسة مذهب يوجا تثقيف للعقول وتهذيب للاخلاق وتعويد على حب الخير والفضيلة ، ونحن احوج الناس الى ذلك ـ ولقد قال جوستاف ليبون : ان احد أكابر كتاب فرنسا لاحظ ان الحس النسبي متسلط على ملكة التصور في هذا الزمان . وأن الخطر ناشيء على الاخص من فقدان التصديق بالمعتقدات التي كانت حياة الامم قائمة عليها وانما قامت الامم على اسس معروفة هي : المشاعر والمنافع والمعتقدات وهو يقول ايضاً : ما سقطت امة لاضمحلال اصاب ذكاء افرادها ، وما من امة سقطت الا كان السبب الاضمحلال الذي اصاب اخلاقها ، ولقد كان الرومان ايام سقوطهم ارقى عقولا من اجدادهم الفاتحين فحياة الامم بحياة مظاهرها المعنوية الادبية ، وسقوطها بسقوط اخلاقها ، وآثار الانبياء الكرام اظهر في اخلاق الامم ، والصلاة والسلام على من جاء ليتمم مكارم الاخلاق الذي خاطبه مولاه بقوله : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » « وانك لعلى خلق عظيم » النبي القائل « ادبني ربي فاحسن تأديبي »

حسن حسين

حكمة راجا يوجا

حجر الزاوية في هيكل تعاليم «راجا يوجا» ـ هو ـ « خير للانسان ان يعيش طوال حياته جاحداً منكراً لا يؤمن بالله ولا يعتقد شيئاً — من ان يكون منافقاً — يتنفس بأنفاس غيره — أو يعيش بعقيدة زائفة صارت اليه باللقاح أو التقليد الاعمى . اذن فالمفهوم من تعاليم « راجا يوجا » أنه ليس هناك في دراسته، ايمان او اعتقاد ذلك بأنك لا تعتقد شيئاً أو تؤمن بأمر حتى تجده أنت نفسك . وعندهم أن الحق ليس بحاجة الى تزكية أو تعزيز ، والحقيقة لا تعوزها دعامات لحفظها واظهارها ، وهم يقولون في ذلك : أيزعم الخلق أن الشؤون التي تحضرنا في حالة اليقظة — تحتاج الى تصورات وأحلام حتى تعيش وتبقى ثابتة ؟ كلا بل تحتاج دراسة « راجا يوجا » الى زمن طويل وصبر وتمرين

وبعض هذه الدراسة بدني يقوم على التمرين والتعويد ، واكثره عقلي يقوم على التأمل والتفكير—وسترى فيما هو آت من التمرينات—ما للحالة العقلية من الارتباط الوثيق بالحالة العضوية .

فاذا اعتقدنا بأن العقل ان هو الا جزء دقيق من الجسم وأنه يهيمن على الجسم بما له من حول وطول وأيد وقوة ، فانما يجب أن نعتقد الى جانب ذلك ما للجسم من التأثير على العقل — وأن التفاعل قائم بين الاثنين — فكلاهما مؤثر ومتأثر وفاعل ومنفعل ، فاذا اعتل الجسم اعتل العقل ايضاً والعقل الصحيح في الجسم الصحيح

(١) تمرين

تناول كمية من الماء البارد بادخالها في انفك ـ حال قيامك من نومك صباحاً فان هذا يفيد الجسم فائدة عظيمة ويمنع ألم الرأس ، ويبقى المخ طوال النهار رطباً منتعشاً، وهو فوق ذلك يحفظ الجسم من هجمات البرد ، أما كيفية استعمال هذا فسهلة جداً ـ اذ أنك تضع أنفك في الماء ثم تدفعه الى الحلق

فوائد هذا التمرين ـ قالوا : وانما يقصد اليوجا من استعمال هذا التمرين الى حفظ الصحة واطالة العمر ـ أما الصحة عند اليوجيين فهي كل شيء في الحياة فبهذا التمرين وبالمداومة على استعماله كل صباح يعمر اليوجي ويعيش عيشة سعيدة هنيئة فلا مرض يغشى جسمه ولا آلام تنتابه ولا أحزان تساوره ـ ويحيا حياة راضية طويلة والمئة السنة في حساب اليوجي لا شيء الى جانب هذه الحياة التي يعبرها شاباً غضاً فيعمر المئة السنة أو الخمسين بعد الماية ولا أثر للشيب في رأسه

قالوا : وانما تعيش الشجرة المعروفة باسم « بانعميان » خمسة آلاف سنة وأنت اذا وقع نظرك عليها لا تراها الا شجرة كباقي الشجر ، فكذلك الحال مع الانسان اذا عمر فان هو الا حيوان صحيح الجسم

(٢) تمرين

العقل قوة فياضة عاملة ـ فاذا تجرد من الخبث وانسرح من غواشي الاوهام ، انصرف الي الاتجاه القدسي وولى وجهه شطر الخير المحض ،

فنزع الى حكم وضبط القوى الحيوية في الجسم . اذن فلا بد بادىء الامر من تطهير الاعصاب حتى يتسنى التدريب على الطريقة المذكورة هذه

ضع الابهام على الخيشوم الايمن واستنشق ما استطعت من الهواء النقي بالايسر ثم سارع في اخراج هذا الهواء من الايمن بعد أن يملأ رئتيك . فانك اذا عالجت ذلك ثلاث أو خمس مرات في اليوم – في اوقات مختلفة – في الصباح – وفي الظهر وفي المساء – وفي منتصف الليل وعند مطلع الفجر – مدة خمسة عشر يوماً أو شهر – فان أعصابك تطهر وتقوى فتصير انساناً آخر

والحق أننا اذا جربنا شيئاً من تعاليم اليوجا وصح لدينا ما جربناه وتحقق ما ابتغيناه من نتيجة فان ذلك يؤدي بنا الى اعتقادنا بصحة تعاليم اليوجا كلها

فوائد هذا التمرين – انك اذا عالجت هذا وسابرت عليه ردحاً من الزمن كانت النتيجة الضرورية لذلك أنك مثلا بعد الاشهر الاولى تصل الى درجة تستطيع معها أن تقرأ أفكار الغير فيظهر لك ذلك في صور وأشكال مختلفة – ويمكنك أن تسمع ما يقع من الحوادث على مسافات بعيدة متى استجمعت فكرك أما هذه الحالات فانها توجد فيك الانتعاش والنشاط ، وتبعث فيك روح الميل والامل والاجتهاد

(٣) تمرين

استجمع فكرك ما استطعت مولياً نظرك صوب أرنبة أنفك وابق كذلك بضع دقائق ثم جرب هذا مرة بعد مرة مطيلا زمن استحضار

ذهنك واستجماع فكرك ـ كل مرة عن سابقتها ـ فانك بعد زمن قليل تشم رائحة زكية

فائدة هذا التمرين ـ تطهير المشاعر دون أن يكون هناك اتصال بأشياء طبيعية

قالوا : والواجب أن نعرف أن هذه كلها وسائل لا غايات،

وضرب لنا مثلا

قال : سعى ملاك وشيطان الى حكيم عظيم ليتعلما منه ماهية النفس وهويتها فتلقيا عنه الحكمة زمناً طويلا ـ ثم حانت من الحكيم التفاتة اليهما وخاطبهما وهو يقول لكل منهما: أتريد أن تعرف نفسك؟ ان نفسك هي الكائن الذي تتفقده وتبحث عنه . فزعم كل منهما أن الجسم هو ماهية النفس ، وقالا لقد فزنا بكل شيء ثم ذهبا الى قومهما في سرور وحبور قائلين لقد نلنا ما نبغي من العلوم فلنأكل ولنشرب ولنمرح ولنسر ـ فاننا النفس وليس من بعدها شيء

ولما كان طبع الشيطان الغباء والجهل ـ لم يعد يبحث عن شيء واكتفى بأنه وصل الى درجة الملائكة وأن المراد بالنفس هو الجسم ـ فلا بد من المحافظة عليه وتقويته والباسه أحسن اللباس وامتاعه بكل لذيذ ممتع وطريف منعش

وأما الملاك فما لبث ان عاودته الذاكرة وعادت اليه الفكرة فقال ـ هل النفس هي كل ما أبحث عنه ؟ ليس هذا مراد معلمي الحكيم ـ فلا بد ان يكون له قصد أسمى فعاد اليه وسأله قائلاً : ألم تعلمني بأن هذا الجسم هو

النفس ؟ فاذا كان الامر كذلك فما بالي أرى الاجسام كلها تفنى وتصير الى الزوال والموت الابدي ؟ وأما النفس فتعيش وتبقى من بعدذلك — فأجابه الحكيم قائلاً ، ابحث عن نفسك بنفسك

هنالك ظن أن المعلم الحكيم انما يقصد بالنفس القوى الحيوية التي تسير الجسم ، ولكنه عاد فتذكر بعد امعان الفكر وإعمال العقل أن هذه القوى تقوى كلما أكل وتضعف كلما جاع - فعاد الى الحكيم يسائله هل مرادك بالنفس القوى الحيوية في الجسم ؟ فأجابه الحكيم قائلاً — ابحث عن ذلك بنفسك

فعاد الملاك وظن أنه أراد بذلك العقل - ولكنه قعد يفكر فآنس ان الافكار في تحول دائم وتغير مستمر - لا تلبث على حال ولا يستقر لها قرار - وأنها تارة تكون حسنة وتارة سيئة - قال : اذن فالعقل المتغير لا يمكن أن يكون هو النفس فعاد الى الحكيم يقول له - ما أظن أن العقل هو النفس فأجابه قائلاً ابحث أنت بنفسك عن ذلك

فعاد ووجد أنه هو النفس فوق كل شيء - لا تلد ولا تموت - لا تخترقها السيوف ولا تحترقها النيران ، ولا يذيبها الماء ولا يجففها الهواء لا بداية لها ولا مولد - لا تتحرك ولا تمشي - العالمة بكل شيء القادرة على كل شيء - فلا هي الجسم ولا العقل ولكنها فوق كل شيء

هنالك نال بذلك بغيته ورضي بحالته وبقي في سعادته وهناءته

أما الشيطان فلم ينل فتيلاً ولا حصل كثيراً ولا قليلاً لانه عاش في جلده مندمجاً في حسه ومادته

ولما كان الانسان أشرف المخلوقات - كان جسمه أحسن وأعظم الاجسام. وهو أفضل من جميع الحيوانات وحتى من الملائكة فلا شيء أشرف منه . وستهبط الملائكة الى الارض وتحصل على خلاصها بواسطة التجسد البشري فالانسان هو الذي يحصل على درجة الكمال لا الملاك

والاعتقاد الشائع عند المسلمين واليهود : أن الله خلق الانسان بعد ان خلق المخلوقات كلها والملائكة

ثم أنه سبحانه وتعالى . امر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا الا ابليس فلعنه الله وصار شيطاناً .

«واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » الآية الشريفة . وهو تشريف من المولى جلت قدرته للانسان على سائر المخلوقات .

« مثل النفس كمثل آلة كبيرة تدير حركة الآلة الآلية »

يحدثنا العلم الحديث ان كل العوامل التي تعمل في هذا الكون لا تتغير ولا تتبدل أبداً ، فهي باقية على حالة واحدة ما بقي هـذا العامل بيد أنها في نهاية الدورة تضعف ثم تنعدم .

ومتى ماوصل تلميذ (مريد) يوجا درجة الكمال تغلب على كل شيء في الطبيعة فاذا أمر الأرواح بالهبوط الى عالمنا هبطت ، واذا أمر الاموات بالظهور ظهرت طواعية . وكل قوى الطبيعة مسخرات له — فاذا آنس منه الناس ذلك عدوه صاحب كرامات ومعجزات .

وهاك ترجمة الراجا يوجا نقلاً عن « الكرمابورانا » :

ان نار اليوجا تحرق قفص الخطيئة الذي يحوط بالانسان ، وتزكي المعارف ، وتصل بالنفس الى الحرية — ومن اليوجا نستمد العلوم والمعارف التي تغني المخلوق وتسعده فمتى كان محصلاً للعلوم وتابعاً لليوجا — فقد حاز رضاء الرب

وينقسم اليوجيون الى قسمين — قسم يرى ان النفس لاوجود لها . وقسم يرى ان النفس كلها رحمة وبركة منسرحة من غواشي الرذائل بعيدة عن كل الأدران والشوائب ـ وهذه طائفة (الهايوجا وهم يدعون ان لا فارق بينهم وبين الآلهة وهناك طائفة من اليوجيين قد توفق الى قراءة شيء من اخبارهم تسمى (أبهافا)



هذه سبيلي أدعو اليها

سبيل اليوجا ثماني مراحل :

(١) ألا يؤذي الانسان أحداً ، وأن يقول الصدق ، وأن يتجنب الطمع ، وأن يتصف بالعفة ، وألا يقبل هدية من أحد ـ وهذه الخطوة تسمى (الياما) وهي تطهير العقل ـ فليس هنالك فضيلة خير من عدم اضرار الغير ـ وبالصدق تنال كل ماتبغي . على ان العفة والطهر يجب أن تكونا شاملتان ـ الفكر والقول والعمل ـ في كل مظهر من مظاهر الحياة .

وعدم الاضرار بالغير يسمى (اهيماس)

وكان حقاً عليك أن ترفض قبول هدية من أحد كان من كان حتى ولو كنت في أشد الحاجة اليها ـ لأن ذلك انما يفسد القلب ويحط الكرامة وينزل من المكانة ويضيع الاستقلال .

(٢) التزام عادات يجب اتباعها اتباعاً تاماً ـ فيعتاد التقشف ، وكبح جماح النفس ، والمرانة على الفراسة ، والقناعة ، والطهارة ، وعبادة الله ، والصوم ، والصلاة ، وأن يكثر من مطالعة الكتب المقدسة سراً وعلانية وأن يكون طاهراً مطهراً ـ ظاهراً وباطناً .

(٣) التغلب على القوى الحيوية الكامنة في جسم الانسان ، وذلك باجراء عمليات التنفس التي أسلفنا القول فيها .

(٤) جعل أعضاء الحواس تحت الارادة .

(٥) توجيه العقل نحو مركز القلب أو الرأس مثلاً .

(٦) استمرار توجيه العقل الى نقطة واحدة جاعلها المركز الذي منه تخرج الأشعة العقلية .

(٧) الوصول بالعقل الى درجة لا يحتاج معها الى مركز يتخذه قاعدة هنالك يكون كموجة واحدة ـ وهذه أرقى الدرجات المعبر عنها (بالسمادهي)

(٨) كيفية وضع الجسم . اذ يجب أن يكون الجسم معتدلاً . ويجب ألا يتحرك الانسان في الأمكنة التي توجد فيها النار أو المياه أو على الأرض المنثورة فوقها الاوراق الجافة والتي بها الحيوانات البرية، أو حيث تتقابل أربعة طرق حيث الجلبة والغوغاء أو يوجس خيفة ، أو بيوت نمل أو اشرار ، وبعض هذه الأمور خاص ببلاد الهند وجوها .

ويجب على المريد أن يعالج هـذه التمارين في جو هادئ على شكل منظم، فاذا ما أحس من نفسه كلالاً أو مللاً أو ضعفاً ـ وقف عن العمل ريثما يعود اليه نشاطه وهناءته ، وعليه أن يختار اجمل المحال للتمرن ، ويجب قبل البدء أن يصلي ويسلم على الله وعلى اليوجيين السابقين

ولنضرب مثلاً للتأمل والتفكير — خذ مجلسك معتدلاً اعتدالاً تاماً يريح جميع اعضاء جسمك ـ ثم حول نظرك صوب أرنبة أنفك واخل فكرك الا من النظر المحول الى هذه الجهة ـ وسترى بعد قليل كيف يفضي ذلك الى توجيه الفكر ، وكيف يمكننا التسلط على الاعصاب البصرية — فنتسلط على قوة الارادة

تصور أن هناك في قلبك فضاءاً ، وأن ناراً تشتعل فيه ، وأن هذا اللهيب هو النفس أي الروح المقدسة

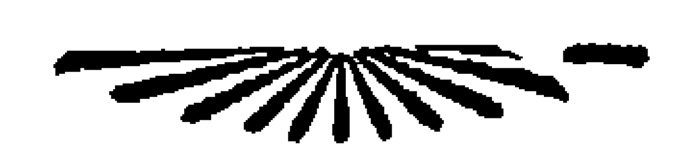
فانما يخرج من أشعة قلبك الطهارة ومحبة الغير والتسامح (والعافين عن الناس) والايمان بالمولى جلت قدرته

على ذلك يجب ان تثابر وتسلم امورك الى المولى وألا تخش شيئاً ابداً، ولا ترتكب محرماً ولا تكدر نفسك — كيما تكون زكية زاكية

ولقد كرر الكاتب ذكر المثابرة حتى انه ضرب مثلاً بحكاية عن احد كبار علماء اليوجيين — اذ مر يوماً على رجل قضى في غابة ردحاً طويلا من الزمن في تفكر وتأمل حتى ان النمل أقام من حوله اكداساً مرتفعة. ولما ان علم الرجل بأن هذا الحكيم متوجه إلى مولاه سأله ان يسأل المولى متى ينال هذا الرجل حريته . وبعد برهة وقع نظره على رجل يلهو ويلعب ويشدو ويطرب فطلب اليه هو الآخر ان يسأل ربه عن الزمن الذي فيه ينال حريته

فلما ان عاد اليهما — قال للأول انه سينال حريته بعد أربعة مواليد فأخذ الرجل يولول ويبكي وينتحب ويصيح قائلا أسفاً على عمري الذي ضيعته عبثاً ولم أبلغ للآن حريتي التي أنشدها

وقال للآخر انه سينال حريته بعد مواليد بعدد أوراق شجر التمر الهندي فأخذ يرقص طرباً وفرحاً — فسمع صوتاً يقول له — ستنالها بعد هذه اللحظة . قال الكاتب : هذا هو جزاء المثابرة — وهو مثل مطابق



قواعد علم اليوجا

نحن مضطرون قبل ان نلج هذا الباب إلى معالجة مسألة هامة ومناقشة بحث خطير - تلك هي المسألة التي عالجها الدين وبنى عليها اهمية عظمي - ولقد أجمع العلماء من ذوي العقول الراجحة في هذا العالم - اننا نشأنا من حال مطلقه التصرف وأننا مظهر من مظاهر تلك الحال وأننا عائدون اليها - كان ذلك حقاً علينا وكان لزاماً

فاذا نحن سلمنا بهذه النظرية كان لنا ان نتسائل عن أي الحالين خير لنا - حالتنا هاته ، أم تلك الحالة المطلقة - ومن الناس من يقول ان حالتنا هذه خير وأبقى . اولئك الذين يتوهمون ان الانسان في الحالة المطلقة يكون مثله مثل الجماد لا حس ولا شعور - فليس له من تمتع بالحياة الا فى هذه الدنيا - وهو ما يحدونا أن نتمسك ونتعلق بها

أما القدماء فقد ذهب بعضهم الى ان الانسان اذا مات فانه لا يتغير ولا يتبدل أبداً - وانما يبقي معه ما فعله من خير وشر ويقولون أن الجنة - هي هذا العالم مجرد من الرذائل والشرور

على حين ان هذه النظرية ليست من الصواب ولا هي من الحق في قليل ولا كثير ، اذ لا يمكن ان يكون هناك خير دون شر ولا شر دون خير . يقول ارسطو :

« ليس في العالم شيء هو خير بذاته ، ولا شيء هو شر بذاته ، بل بالوضع ، وقد ينقلب الخير شراً ، والشر خيراً ، فلا تكون هناك حقيقة »

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن الغاية من وجود الانسان كي يجد ويجتهد، فهو دائب العمل من مهده الى أن يغير الله نور شمسه بظلمة رمسه، بيد انه لا يصل الى نشدانه ابداً، وهو زعم لا تعرفه الحكمة، ولا يقوم على اساس من الحق - لان الحركة يستحيل ان تتجه في خط مستقيم، ولكنها تستقيم في خط دائري. فاذا تهيأ لك ان تقذف بحجر في الفضاء (بفرض انه لا يقع على الارض ابداً) فانه في نهاية الامر يعود اليك وهو ما يوضح النظرية القائلة بأن الانسان يجب عليه ان يحب الغير ولا يكره احداً. « وفي الانجيل الله محبه » « حبوا اعداءكم، احسنوا الى مبغضيكم باركوا لاعنيكم وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم »

قال الكاتب لان الحب منك اليك والكراهية عائدة اليك « وان ليس للانسان الا ما سعى »

قال - ولقائل وما بال الرجل يلقي بالقول جزافاً ونحن نعلم ان اعمال الانسان تدفن معه في قبره - فاذا ما انطوت صحيفته - ذهب وذهبت معه اعماله ذهاب امس الدابر، لهذا نقول ان هذه الاعمال لا تزول ولا تذهب ذهاب امس الدابر وانما هي تغيب عنا - والى حين - كما تغيب عنا الشمس والقمر والنجوم ثم لا تلبث ان تعود للظهور - هذا هو القانون الطبيعي والسنة التي سنها الله للمخلوقات ولن تجد لسنة الله تبديلا

واليه المرجع والمعاد - وسنعود جميعاً الى الاصل موجد الوجود وخالق الكون كما بدأنا اول مرة. « كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون »

اليه المرجع واليه المآب هو الاصل . هو الحاكم المتصرف . هو الله . هو الذي اوجدنا واليه المصير . اطلق عليه اسم الله او الآله او الطبيعة او اي اسم شئت

ومن المسائل التي عالجها العلماء ـ مسألة رجوعنا الى الله ـ وهل سنكون احسن حالاً ؟ أما فلاسفة اليوجيين فالرأي عندهم أننا من غير شك سنكون احسن مما نحن فيه الآن . ذلك لان الانسان في هذا العالم قد أخذ في الانحطاط والرجوع القهقري يوماً بعد يوم ـ والفكرة السائدة ان الانسان كان كاملا طاهراً في حالته الاولى ثم سقط وتدهور ـ قالوا : ولقد تدهور شيئاً فشيئاً الى ان بلغ آخر درجات الانحطاط ـ مما لا يمكن ان ينحط بعده. ثم يأخذ في الارتقاء درجة بعد درجة علواً لاتمام الدائرة ـ حتى يعود الى اصله (الله) فمبدأه الله ووسطه الانسان وغايته الله « وهذا ما يتفق تماماً مع نظرية التطور » قال الكاتب فاذا كانت حالتنا هذه ارقى الحالات ـ فما بالنا لا يقع نظرنا أينما ولينا وجوهنا الا على شرور وآثام ورذائل ومخاوف . الا ان حالة تفسد الانسان وتجعله فى الدرك الاسفل من الحضيض لا يمكن ان تكون اسمى الحالات

على ان بعض المفكرين يرى ان ما فى الوجود ، اما ان يكون مفكراً او غير مفكر وليس من بعد هاتين الحالتين ثالثة ـ وما يدريهم ـ ان تكون هناك حالة ارقى من هاتين الحالتين ـ ارقى من الفكر ؟

اننا مثلاً لا نرى الضوء متى كانت اهتزازاته ضئيلة جداً ، ولكنها متى اشتدت ظهر لنا الضوء ـ فاذا زالت شدتها لا نراه ـ وهو ما نضرب به

مثلاً يذهب بالزعم القائل ان الانسان فى حالته التي هي أسمى الحالات يكون غير مفكر كالجماد . فالله لا يحتاج لان يفكر لانه عالم ومحيط بكل شيء

قال : ويستنتج ان هناك حالة ارقى من حالات الفكر فاذا تجاوز الطالب هذه الحالة ـ دخل الحياة ـ وأخذ خطوته نحو الـكمال ـ نحو الله



قواعد اليوجا

الفصل الاول

(١) شرح استجماع الفكر
(٢) كيف تجعل الماهية الادراكية متصورة على صورة واحدة فحسب.

ليست العين هي التي تبصر الاشباح (المرئيات) بل العصب المتصل بالمخ هو الذي يعمل هذا العمل — فاذا نزعت هذا العصب — فانك لن تستطيع ان ترى الاشياء — اذن يكون عضو النظر هو العصب المذكور. ذلك بأن الانسان قد يكون نائماً وتكون عيناه مفتوحتين، ولكنه لا يرى شيئاً وقد تمر العربات فى الطريق دون ان يسمعها ذلك لانه لم يكن هناك اتصال بين العقل وعضو السمع — فاحساساتك شيء يتم بثلاثة امور:

(١) آلة الحس — العين او الاذن مثلا — وعضو الحس — العصب — والعقل، ومتى وصل احساس الى العقل — فانما تعمل فيه قوى مختلفة وتحدث خواطر وأفكاراً تموج كموج المياه فى البحر

يقول اليوجيون: ان وراء هذه قوة تظهر الاشياء على حقيقتها — فما نراه ويدركه عقلنا هو مدلول الاشياء فقط، وأما الحقيقة فانما هي وراء ذلك. هم يقولون ذلك ويضربون له مثلا فيقولون — ان الانسان لايقوى على رؤية قاع البحيرة اذا كانت امواجها كثيرة، او كان ماؤها عكراً — وانما مثل النفس كمثل قاع البحيرة أي انه متى صفا العقل واطمأن البال — كان للانسان ان يعرف نفسه وكان له ان يدرك الحقائق

وفى هذه الاثناء، اى وقت استجماع الفكر – تبقى النفس مستقرة في مستقرها (غير المتغير) هناك يتأتى لنا ان ندرك حقيقة حياتنا ونعرف انفسنا معرفة صادقة حقة

اما في غير ذلك – فتكون النفس بين عوامل التردد وفواعل التغير

وانما تنقسم الحالات التي تساور الانسان – من الم او لذة – الى خمس: العلم الصحيح . والخلط . والخداع . والنوم . والتذكر

أما براهين التحقيق – فهي – الروية . والاستنتاج . والشاهد الثقة . كلنا نجد ونجتهد سعياً وراء الحصول على العلم – فاذا اردنا التحصيل فانما يتاح لنا ذلك بعد جهد جهيد وكد ونصب . اما اليوجي فليس به حاجة إلى شأن من هذه الشؤون . وانما هو بعد رياضاته وتمارينه – يصل الى ماوراء العلم فينكشف له ما عمي على غيره ويقرأ كتاب الماضي والحاضر والمستقبل

وأما كلامه فحجة لا يحتاج الى برهنة او تدليل

وانما كان حقاً وكان لزاماً على من كان يوجياً ان يكون غيرياً (غير محب لذاته) طاهراً ، وأن يكون قد بلغ ما وراء الحس . كما انه يجب عليه ان يكون كلامه غير متناقض مع تجاريب البشر ، وألا يطمح في الشهرة ولا يسعى وراءها . وأن يكون قد وصل الى درجة عندها يخلط بين الاشياء وجماعها ، فلا يميز بين اللؤلؤ والفضة مثلا

على حين ان الناس مسوقون وراء البهرج الخداع والتزويق اللفظي فهم من اجل ذلك مخدوعون بالطلاء اللفظي – فلا يقنعون بالمعاني الجوهرية وانما يتأثرون بالزخرف الكذاب – وانما هم من بعد ذلك يبنون أحكامهم

على هذا ـ وهو الضلال المبين فيجب ان يأنس الانسان الى عقله في التريث والتروي

المألوف المعروف ـ ان الانسان يفقد فى نومه كل حواسه ـ من اجل ذلك كانت الاحلام التي يراها الانسان في نومه نتيجة تموجات فى العقل أثناء النوم ـ وهي أشبه الاشياء بما يحدثه سقوط حجر في بركة

أما الذاكرة فأثر للحوادث ملتصق بالمخ يردده الحس

ولا يقوى الانسان على ان يحكم هذه كلها ويضبطها ويهيمن عليها الا بالمرانة وعدم التقيد

كل ما يقع من حادث انما يترك فينا اثراً باقياً ـ وبتكرار الحوادث تتراكم الآثار ـ ومن ثم تنشأ العادة ـ من أجل ذلك قيل ان العادة طبيعة ثانية والطبع بالتطبع ـ ومن شب على شيء شاب عليه . فنحن اولادالعادة، فمن اعتاد الصلاح كان صالحاً ، ومن تعود الشر كان شريراً فاسداً

اما علاج العادات الفاسدة ، فلا يكون الا باتباع ما يخالفها ـ وانما تستأصل العادات القبيحة ـ بحسن الظن وعمل البر والخير

اخلاء الذهن من كل مؤثر خارجي يكون بالدربة

يتهيأ الذهن للعلم الصحيح بالجد المتواصل والدربة والمثابرة الطويلة مع الحب والميل لما ينشده المتعلم من غاية

عدم اتصال المتعلم بالمبصرات فيبتعد عن أسباب الكدر ، وألا يجعل تمتع حواسه كل غايته من الحياة

عدم ارتباط الذهن باية صفة من الصفات ، حتى يدرك ماهية النفس ،

واليوجي يرى ان النفس هي غاية الغايات وهي فوق كل صفة تظهر في الطبيعة فهي ساطعة بماهيتها ـ نقية طاهرة، وما يقع عليه نظرنا من مظاهر الجمال والذكاء في الطبيعة ان هو الا انعكاس النفس ـ وانما كان العقل محدوداً ضمن الطبيعة

إذن فالطبيعة هي التي غشيت بغواشيها على النفس فطمستها ، فاذا ما تكشفت هذه الغواشي ورق هذا الغلاف المادي تجلت بأجلى مظاهرها وظهرت على حقيقتها

العلم الحق الصحيح لا يقوم الا على اساس من التصور ثم التمييز ثم السيادة ـ ثم تجريد النفس من كل صفة

يتدرج اليوجي ـ من الحال الفكرية الى أرقى منها ـ فيفكر أولاً فيما يحوطه من الاشياء موجهاً فكره نحو امر ما ـ ثم يفكر في العقل نفسه ـ ثم يتدرج من هذا الى ان يفكر في النفس فيفكر فى نفسه مجردة من الجسم بفرض ان هذا الجسم في حكم العدم

بلوغ المريد (الطالب) الى درجة ما بعد الشعور ـ يوءدي به الى حد تقف معه حركة القوى العقلية . ومتى بلغ هذه الدرجة ـ صارت النفس مطلقة من كل قيد حرة بعيدة عن كل موءثر . وليس بيسير ولا هين ان يبلغ الانسان هذه الدرجة . لان هناك خطراً كبيرا يقع لبعض الناس ويصادفهم في طريقهم صوب بلوغ هذه الدرجة ـ فينتابهم عند تجريد العقل من كل فكر ـ الجهل المطلق والبله والبلادة

ولسائل ان يسأل اذن فما نكون وماذا تكون حالتنا اذا تصورنا أنفسنا

مجردين من كل علم . لهذا السائل نقول : ان ما نسميه علماً ومعرفة انما هو اصطلاح نسبي فحسب ـ هو حالة خاصة . فتموجات الضوء الضئيلة مثلاً تحدث ظلمة وكذلك التموجات السريعة جداً ـ ولكن الاولى تحدث ظلاماً والثانية نوراً ساطعاً . فكذلك الامر في العلم ، فان الجهل أحط الدركات والعلم هو الدرجة الوسطى وما وراء العلم هو الدرجة القصوى . وما نسميه علماً ان هو الا صياغة اتحدت بعضها ببعض ـ فهو ليس الحقيقة ـ وانما الغرض من الوصول الى هذه الدرجة انما هو التخلص من ذميم الصفات بل وحتى من حميدها . وكذلك تستعمل المعادن مع الذهب لتنقيه مما علق به من الجواهر الاخرى ـ وكذلك الحال مع المريد فانه بالتمرن على الطريقة المذكورة يفقد ما علق به من مستحسن ومستهجن وجميل وخبيث ، هنالك تصير النفس حرة مطلقة التصرف ـ محلقة في كل جو كائنة في كل مكان ـ قادرة على كل شيء عالمة بما يحوط بها . فتعرف ان الطبيعة هي التي تتحرك وأن الحركة انما تنعكس عليها وتتلاشى عن الانسان الاوهام والهواجس والاباطيل . وتكون فوق كل شيء

فتظهر من المتعلم مظاهر الملائكة

والرأي عند بعض الهنود ان الملائكة تتقمص أرواح بعض الناس

ومن الناس من يبلغون هذه الدرجة بالجد والعقيدة الثابتة والايمان الصحيح وجودة الذاكرة واستجماع القوى وتمييز الحقائق

ان النجاح لكفيل للمجتهد المجد وكل من سار على الدرب وصل . ولكل مجتهد نصيب . تختلف درجات المريدين باختلاف الطرق والوسائل

التي يتبعونها ، قد يصل المريد الى ما ينشده من غاية باخلاصه الى ما يدعى (اسفارا) و(الاسفارا) هو الحاكم الاعلى ـ هو النفس التي لا يصيبها شقاء من أجل الاعمال والرغبات . ولو ان اليوجيين يعتقدون ويؤمنون بوجود آله قدير حكيم عليم له الامر كله الا انهم لهم عقيدة غير ما نعتقده نحن

فهم يقولون ـ ان معارفه لا حد لها ولا نهاية ، بخلاف المخلوقات فمعارفهم ليست الا كجرثومة

هو معلم المعلمين حتى الاقدمين منهم ـ عالم من الازل ـ لا قيمة للزمن عنده اللفظ الدال عليه عندهم (أم) ويقولون هو أقرب الالفاظ للدلالة على لفظ الآله (الله) . وقد أجمعت عليه الطوائف المختلفة من الهنود وقد شاع هذا الاستعمال ايضاً حتى في انجلترا وأمريكا

تكرار هذا اللفظ (أم) والتفكير فيه هو الطريق الموصل الى الغاية المقصودة فيصل المرء الى معرفة نفسه بنفسه ، وتزول عنه العوائق

وهي المرض . والخمول العقلي . والشك . وسوء الفهم . والرجوع القهقري . وقد تنتاب المريد الاحزان وتساوره الهموم ويحوطه القلق الفكري وارتعاش الجسم واضطراب النفس — من جراء عملية استجماع القوى ، وقد تعتور الاعصاب هزة أثناء التمرن ـ فلا ينزعج من ذلك ولا يقلق ولا يحزن فبالتمرين يشفى مما يعتوره

يجب على المريد (الطالب) ان يبدأ فيعالج تمرين نفسه على واحد مما أسلفنا من التمارين مراعياً في ذلك حالته الصحية وما يوافقها من هذه التمارين ويفيدها

الـكل يعمل للسعادة ويسعى لها سعيها ، وأكثر الناس لا يهتدون اليها ، وليس يكون للسعادة وجود مع اضطراب العقل وقلقه ـ وانما لراحة الفكر وطمأنينة البال كل الاثر في السعادة ـ على ان هذا لا يكون الا مع الاعتياد على السرور والرحمة والصداقة وكذلك ايضاً عدم الاكتراث لما يقع بين ظهرانينا من الحوادث . ان كل ما يصيبنا من آلام ومتاعب انما يكون الباعث عليها ـ ان حفظ العقل هادئاً فوت استطاعتنا وأننا عاجزون عن حفظ توازن العقل وجعله في ميزان معتدل غير مضطرب ولا مزعزع . فاذا اعتدى علينا مخلوق بايذاء ، شغل هذا عقلنا وكان الالم عاماً والتعب والقلق والاضطراب ـ كلها شاملة فاذا تقصيت الباعث او السبب لهذا كله ـ فانك لن تجد له من داعية او ثم باعث الا عدم امكاننا ضبط العقل وحفظه في ميزان واحد حتى يكون بعيداً عن الاضطراب والقلق والتأثر

يجب التمرن على عملية التنفس وفيها تطهير الاعصاب وفائدة المخ ولقد أسلفنا الـكلام على (البرانا) اي القوة الـكامنة في الجسم والتي تظهر بمظاهر مختلفة ، وبينا ان حالة التنفس وانتظامها والتمرن عليها ـ من أهم أسباب ظهور هذه المظاهر وتفوق تلك القوى . فعملية التنفس هي التي تهيمن على اعصاب الجسم ، على ان هناك مسألة يجب الالتفات اليها ـ تلك هي ـ ان المريد (الطالب) يلقى صعوبة تامة باديء الامر ومقاومة من جسمه لقبول هذه العملية ولـكن الرياضة أو العادة هي التي تكفل تسهيل ذلك . والذين يقبلون على دراسة علم (اليوجا) يجب عليهم ان يرغبوا عن المحسوس من هذا العالم ويولوا وجوههم شطر ما بعد الطبيعة الظاهرة المحسة ـ وقد

يقع ان يلقي الطالب من المصاعب الشيء الكثير او ان يأنس اضطراباً في نفسه ـ ولكن ذلك كله يهون اذا اتبع ما أسلفنا القول فيه من اتخاذ ما يناسبه من التمارين

(٤) تمرين

اذا تهيأ للمريد ان يستجمع قواه ، وتأتي له ان يحكم على ما فيه من خواس ، فانه من بعد ذلك لا بد من ان يشعر شعوراً غير مألوف له ولا هو معروف لديه ، ذلك بأنه يحس بأن عقله قد أصبح نشيطاً وثاباً نزاعاً للعمل من غير ان يعرف الملل اليه سبيلا ، على ان علم اليوجا يحدثنا بأن الانسان من بعد ذلك يكون غيره في مبدأ امره ـ ذلك بأنه اذا سلط فكره نحو جذور لسانه ـ سمع أصواتاً غريبة تخاطبه . واذا وجهه صوب ارنبة انفه ـ فانه يشم رائحة عطرية منعشة . واذا وجهه نحو طرف لسانه ذاق مذاقاً شهياً لذيذاً ، واذا وجهه نحو وسط لسانه ـ حس باتصاله بشيء ما ، واذا وجه فكره نحو سقف حلقومه تراءت له اشكال غريبة

(٥) تمرين

فكر في ذلك النور الذي لا تغشاه ظلمة الاحزان ولا كدر الاوهام ، فكر في عروق القلب وفروعه من مبدئها وما الى ذلك من ممر العصب المركزي للعمود الفقري ـ ثم خذ نفسك شهيقاً ـ ثم رده زفيراً ـ وفي هذه الاثناء تصور ان جماع العروق قد تغيرت وتبدلت حالها وأن نوراً قوياً قد ملأ احيازها . كرر ذلك وانعم فيه الفكر

(٦) تمرين

وجه فكرك الى ذلك القلب النزاع عن كل محس ، فكر في ولي من أولياء الله او في رجل طيب انت تجله وتعظمه ممن زهدوا في هذه الحياة الدنيا ـ واستجمع فكرك وجرب ذلك مراراً

(٧) تمرين

فكر فيما يحصل لك وما تحصل عليه من معرفة فى حالة نومك ، وقد يستأنس الانسان وهو فى حالة النوم بملائكة او ارواح طاهرة علوية تأنس اليه وتخاطبه ـ فيكون اذ ذاك في حالة غير عادية ـ فاذا ما انتقل من حال النوم الى حال الصحو ـ يحس بأن هذه الاحلام قد اثرت فيه وتركت فى نفسه اثراً يذكر وفي مخيلته ايضاً ـ فليتصور ان هذه الحالة صحيحة وليتصور ان الحلم حقيقة واقعية

(٨) تمرين

فكر في اي شأن من شؤونك النافعة الطيبة التي تحبها او تأنس اليها فانك تجد في التفكير فيها راحة وطمأنينة ـ في مكان، في امر ـ في فكرة ـ في اي شيء وامعن الفكرة في ذلك طويلا

قد تسائلني عما يكون من فائدة بعد تفكيرات في اشياء مختلفة ومعالجة تمارين منوعة ، ولكل فائدة ولكل منفعة تظهر لك من ذلك ان تصبر على ذلك ومن بعد ان تتجه بفكرك وقلبك الى الملأ الاعلى ، فترغب عن مظاهر الحياة الخداعة ، وطلائها الكاذب ، ان في هذه الحياة التفكيرية لمزايا عظيمة لا يستهان بها ، اقربها للنفس ـ ان ينتقل الانسان من التفكير

في أبسط الاشياء الى ما يليها ارتقاء ثم الى ما هو أرقى حتى يصل به التفكير الى الدرجة التفكيرية القصوى وحتى يصير انساناً غير الانسان الاول ـ هنالك تضعف عنده ما نسميها بالتموجات التفكيرية

اما متى تأتى للانسان ان يحكم على ما يجول بخاطره ويختلج صدره من الخواطر ، فانه عندئذ يرى الاشياء الخارجية ، والعقل ، والنفس ـ كلها كأنها ازهار مختلفة الالوان تنعكس ظلالها على اضاة مرآة

المألوف المعروف ـ ان الطالب باديء الامر انما تقع بخاطره من التفكيرات اقرب الاشياء الى حسه ، اي ما هو واقع امام حواسه ، ثم هو من بعد ذلك يتدرج في معارج الرقي الفكري الى ان يحدو به ذلك الى ما وراء الشعور

وقد يصل بعضهم الى ما بعد الحس دون ان يتدرج في هذه الطرق من مرتبة الى ارقى منها بوسائل التفكير المألوفة ـ وذلك بأن ينزعوا من ذاكراتهم كل ما علقت بها من صفات ونعوت

وبهذه الطريقة ايضاً يصل الى معرفة حقائق الاشياء فيراها على ما يجب ويحق ان تكون عليه لا على ما هي عليه في الظاهر

الا ان دقائق الاشياء ـ هي عادة من عمل العقل وما يتعلق به

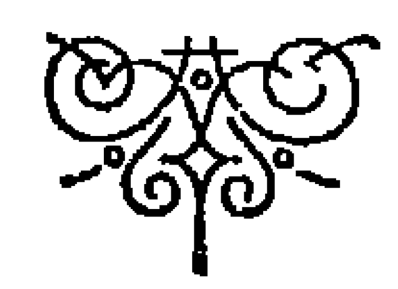
في الحالات التي اسلفنا القول فيها ـ يعمل الطالب الفكر من غير ان يستأصل بذور الاعمال السابقة فلا يكون اذ ذاك حراً ـ اما القواعد التي سنأتي بها بعد ـ فتضيء الطريق امام الطالب وتبني الموضوع بنياناً

ان العقل انما يرتاح ويستقر على مستقر من الطمأنينة متى كان استجماع الفكر خالصاً لا شية فيه ولا شائبة تشوبه

كل علم تحصل عليه وتصل اليه بهذه السبيل ، حق لا شية فيه من شك

ان المعرفة التي نكسبها من طريق المشاهدة والاستنتاج – هي معرفة للاشياء على ماهي عليه ، وأما المعرفة التي نصل اليها عن طريق (السمادهي) ما وراء الحس. فهي ارقى وأسمى من ذلك – آية ذلك ما نراه في الكتب المقدسة فان الكافة لا يفهمون مافي هذه الكتب من حكم بالغة وآيات بينات اما الخاصة فيفهمونها اكثر وأقرب من الكافة لتدرجهم في معارج التفكير الراقي وتدريبهم على تفهم ما تحويه هذه الكتب – وهذا لا يكون من ناحية الحواس والتصور – وانما من ناحية الراعية الخفية

ان اعتياد الزهو عن طريق (السمادهي) ما وراء الحس يحول ماانطبع عليه من الآثار بالطريق العادية .حتى اذا بلغ غاية هذا الطريق ادرك الطالب ماهية النفس ،وتعرف كنهها – فعلم ان لا شائبة تشوبها وأنها ذلك الجوهر الحي الذي لا يولد ولا يموت ولا ينعدم .



الفصل الثانى

التدريب على استجماع القوى

(١) اعلم ان التأمل وكبح جماع الشهوات بالرياضة والتمرين ثم عمل البر لوجه الله خالصاً - كل اولئك كان من اوليات تعاليم اليوجيين وهو الخطوة الاولى التي يأخذها المريد صوب ما ينشده في سبيله هاته، وكان حقاً وكان لزاماً على المريد سالك سبيل اليوجيين ان يحارب ما فيه من نزوات وشهوات، وأن لا يرخي الحبل على الغارب لكل ما يشتهيه جسمه او ما يتطلبه عقله، وانما توجبه عليه تعاليم اليوجا ان يحكم نفسه ويضبط نزعاته حكماً صحيحاً بالتأمل والدرس. وليس يقصد بالدرس هنا الا كباب على مطالعة شتات الروايات الخيالية ومختلف الاسفار ومتباين الكتب المترعة بالخرافات والترهات وانما الغرض من الدرس والتحصيل — دراسة— مطالعة الكتب القيمة — التي يكون من اثر مطالعتها تحرير النفس — والتي تبعد بعداً كبيراً — عن كل لجاجة او مهاترة — او محاجة او جدل، لان كل ذلك يهوش الافكار ويشوش العقول ولا يجدي نفعاً، وأن يعمل الخير والبر لوجه الله سبحانه وتعالي — لا ابتغاء مقابل — بل لا يريد من وراء ذلك جزاء ولا شكوراً

ومن الحق على الطالب ان يأخذ في سبيل الرياضة على تعرف ما وراء الحس، مع المحافظة والحيطة مما قد يصيبه من أذى أو مضرة

وانما الشقاء كل الشقاء ـ والآلام كل الآلام لا تكون الا مع الانوية، والجهل ، والحب والكراهة ، والتعلق بكل عرض من أعراض هذه الحياة الدنيا

الجهل منشأ كل شقاء في الارض ومبعث كل ألم

ومن الجهل الفاضح ان تعد ما هو زائل بائد ـ طاهراً خالداً ـ فيذهب بك هذا الى الظن بأن الجسم المادي هذا هو (هوية) الانسان لا تلك النفس الطاهرة الصافية المنيرة

وانما يقصد بالانوية هنا — ان يقول الطالب معبراً عن نفسه — اكره هذا وأحب ذلك ، وهذا يتعبني وذاك يؤلمني — مع ان النفس لا يقع عليها تغير ولا يدركها تبدل ولا يؤثر فيها اي مؤثر

لا تحب ولا تنزع او تميل الا الى كل ما يبهج ويبعث على اللذة والسرور

كما اننا لا نكره الا ما يبعث على الالم بالروح والمعنى لا بالحس

من الطبيعي المقرر ان الناس غالون في التعلق بالحياة، مسرفون في حب الدنيا ، الغني والفقير ـ الحقير والامير ـ الغبي والعاقل ـ الجاهل والعالم ـ الكل في ذلك سواسية ، وهو ما حدا الذين يؤمنون بالحياة الاخرى ـ الى هذا الايمان ـ والهنود يقولون ان التعلق بالحياة الدنيا يدل على ان حياة اخرى قد سبقت هذه الحياة ، قالوا: ان كل علم لا يمكن ان يكون شيئاً الا نتيجة لازمة للخبرة ،وأن ما لا يكون مدعماً بدعامة الاختبار قائماً على التجربة ، لا يدركه العقل ولا يتصوره الفكر . قالوا : واننا نرى ان صغار الدجاج لا تخرج من بيضها حتى تلتقط الحب، وكذلك صغار البط تخرج من بيضها

عوامة تسبح في الماء من غير ما تعليم ولا تدريب سابق فمن الذي علم الدجاجة التقاط الحبة والبطة العوم؟ سيقول بعضهم بالفطرة او بالغريزة ـ وانما نقول لهؤلاء ان هذه كلها الفاظ جوفاء لا مدلول لها ولا معنى. انظر الى السيدات وهن يعزفن على (البيانو) فانهن بعد بضع سنين مثلاً يصرن الى حالة عجيبة ـ ذلك بأنك تراهن يعزفن بينما يكن مشغولات في محادثتك من غير ان ينظرن الى مكان التوقيع ـ قلنا وانما كان عملهن هذا بالتمرين غريزة ـ والحقيقة انها نتيجة خبرة وتجاريب وتدريب ـ وهو ما يتفق تماماً مع ما ضربناه مثلاً ـ في صغار الدجاج والبط . وهذا هو مذهب التقمص او تناسخ الارواح . اجل لقد جبل الانسان على الخوف من الموت فهو متعلق بالحياة، اما تعاليم اليوجا فتحتم على المتعلم (الطالب) ان يتغلب على اهوائه قبل ان تبلغ مبلغها من القوة والاستفحال فيقضى عليها في حياتها الاولى

وانما يكون القضاء على الشهوات بمناقضاتها ـ ذلك بأنك مثلاً ان آنست شهوة الغضب تقوى فيك ـ فعود نفسك الحب ونم عاطفة الايناس ـ فانك تحارب نزعة الغضب وتقضي على سورته

قد يكون التأمل او التفكير من العوامل التي تحارب شهوة الغضب، وتذهب بما يغشي النفس من حقد وحسد وتلهي النفس وتشغلها عن عوامل الشقاء

ان كل ما يقع من الاعمال وما يحدث من الاقوال انما يترك اثراً في الذهن ان حسناً او قبيحاً ، وهذا يحول بيننا وبين ما نرمي عليه من غرض، ومن نال غرضاً او اصاب حظاً من شيء تابع الغرض الغائي ـ والنفس تواقة

نزاعة الى الانصراف لنيل ما تصبو اليه ، فكلما اصابت حظاً او قضت وطراً ، انساقت الى تحقيق غاية اخرى وكذلك دواليك ـ حتى تصدم ويخطئها الحظ ـ هنالك يقع الالم ويكون البلاء عاماً وشاملاً .وهذا ما يقف بالنفس عن الانطلاق والحرية والسعادة . اما اليوجي فعنده ان في قدرة الانسان ان يحول جسمه الى حالة لا يدركها مرض ولا يقوى عليها موت.
يقول علماء علم وظائف الاعضاء ان الغاية من الطعام انما هي ليستمد الجسم قوة تعينه على الحياة ـ وأن هذه القوة مصدرها الشمس ـ لان النبات يستمد القوة من الشمس ـ والحيوان يستمد القوة من النبات ـ ونحن نستمد هذه القوة من الحيوان ـ يقول اليوجي : فلماذا لا نستمد نحن هذه القوة من الشمس مباشرة ؟ من غير ان نتوسل بهذه الوسائل ونأخذ هذا الطريق المتدرج من حال الى حال؟ قال:وانما نحن نصل الى ذلك عن طريق العقل ـ فبالعقل يمكننا ان نستمد كل ما نحتاجه من قوة ـ وانما يكون ذلك عن طريق الشمس مباشرة دون التجاء الى الطرق المألوفة المعروفة ؟

وضرب لذلك مثلاً قال: الم تر الى العنكبوت كيف يحيك من جسمه شبكة يتنقل فيها ؟ فكذلك ايضاً ـ لنا شبكة من الاعصاب نعيش بها ولا نعمل عملاً الا في حدودها . وعند اليوجيين ان في مستطاع اليوجي ان يعمل اعمالاً خارجة عن الشبكة العصبية هاته . قالوا : وما مثل الاعصاب الا كمثل اسلاك كهربائية منتشرة في الجسم ، متصلة بالعقل وهو المركز العام لها ـ ومن الممكن ان يصل العقل الى تعرف الاشياء دون ان يستخدم هذه الاسلاك (الاعصاب) ـ ومتى تأتى له ذلك ـ احاط علماً بكل ما في

هذا العالم ـ هنالك لا يفرق بين الحياة والموت ولا يعرف معنى لهما . قالوا: ولما كانت كل الاجسام في هذا الوجود تتألف من مواد دقيقة لا يختلف بعضها عن البعض الآخر الا في ترتيب اجزائها كان من الممكن للانسان ان يجعل جسمه طوعاً لارادته — فلا يعرف الحياة ولا الموت ولا المرض ولا اي شيء من هذا القبيل

متى كان الاصل موجوداً كانت لها اثاره من الم او لذة . فالشجرة مثلاً تخرج البذور وهذه البذور تخرج اشجاراً اخرى وكذلك دواليك — وهو ما يتسق مع حال الانسان فمن الناس من يكون ملكاً كريماً ومنهم من يكون شيطاناً رجيماً — ومنهم من يعمر الى اكثر من مائة سنة ومنهم من يعيش عامين ـ ومنهم غني ومنهم فقير ، ومنهم سعيد ومنهم شقي . والرأي عند اليوجيين ان الفضائل تزكي النفس وتجلب الهناء والسعادة والغبطة ـ وأن الرذائل مجلبة للالم والشقاء

مبعث السعادة ، ومبعث الشقاء ـ الفضيلة او الرذيلة

يذهب بعض الفهماء والعقلاء وذوي البصر والفطنة ـ ان الاشياء مجلبة للأذى والشقاء ـ اما مباشرة او عن طريق غير مباشر ـ والناس في غوايتهم يعمهون ، وفي ضلالتهم يتخبطون دون ان ينالوا مآربهم او يصيبوا اغراضهم ـ فما من حب الا ادركه الزوال ـ حتى بين الزوج وزوجه ، والصاحب وصاحبه ـ وليس ينسى الانسان انه لن يدرك ما بعد هذا كله وما وراء هذا العالم الا بالزهد والاعراض عن كل عرض من اعراض هذه الحياة الدنيا

يجب اجتناب الشقاء الذي لم يقع بعد، وعدم توقع البلاء والتفكر فيه قبل نزوله . ان سبب الشقاء هو نقطة الاتصال بين النفس والطبيعة

تشعر النفس بالوحشة والالم والشقاء ـ من حيث انها مرتبطة بالطبيعة ـ اذن فكان حقاً وكان لزاماً علينا ان نعمل على ان يكون للنفس الهيمنة والسلطان على الطبيعة ـ حتى تعيش النفس في هناءة من الحياة وسعادة من العيشة وكيما لا يساورها الالم ابداً . ولا يكون هذا الا بالرياضة والتمرين

العقل هو المدرك لما يقع تحت حسنا في الطبيعة ـ بخلاف النفس ـ فانها باقية حين لا ترتبط بشيء ما . ولما كان النور متغلغلاً في كل نفس ذي حياة ـ من اجل ذلك شيدت المساجد والمعابد ـ فكلما ولى الانسان وجهه شطر المعبد وتوجه بقلبه الى الله ـ استنار قلبه وزكت نفسه وزاده الله نوراً على نور . على حين ان علماء الاديان قد اختلفوا هم وأصحاب المذاهب الفلسفية في مسألة اصل الوجود. فأما علماء الدين فيقولون ان اصل الوجود هو العقل ـ وأما الفلاسفة الماديين فيقولون ان المادة هي الاصل. وأنت تجد فريقاً ثالثاً هم فلاسفة الهند ـ وهم يقولون ان النفس هي الاصل ـ وأن العقل انما يستمد نوره من النفس، ان النفس نقية طاهرة مطهرة ـ وأن ما ينتابها من هناء او شقاء ـ وألم او لذة ان هو الا ظاهرة من ظواهر الانعكاس ـ مثله مثل ـ قطعة من المرمر الناصع وضعت على نضد امام وردة حمراء لونها ـ انعكس هذا اللون على قطعة المرمر . فالنفس مركز النورانية ـ فاذا ما تجردت من الجسم وانسحبت من غواشيه بقيت حية دائمة لا ينتابها

التغير ـ والعقل على النقيض من ذلك ـ فانه يتغير فتارة يشعر بالحرية وطوراً بالعبودية ـ اما النفس فباقية على حالة واحدة حرة دائماً

كل ما في هذا الوجود من نور مستمد من النفس

لم تكن الطبيعة الا لتحرير النفس بفصلها عنها ـ وليس هذا العمل مقصوراً على شخص واحد وانما هو يدرك ويشمل اشخاصاً لا يقع عليهم الحصر ـ فهي من اجل ذلك في شغل دائم وعمل مستمر

ان هذا العالم كتلة واحدة كبيرة ـ فجسمك وجسمي والشمس ما هي الا جزئيات صغيرة من تلك الكتلة (المادة) التي هي في تغير دائم وتبدل مستمر ـ وما يكون في الشمس قد يكون في جسمنا

اذن فمن الغباء ومن الجهل الفاضح ان نجعل النفس مختصة بجسم معين متحيزة فيه ، هنالك يكون الشقاء والبوءس والضلالة بعينها . وانما شعور الانسان بالحر والبرد والسعادة والشقاوة خرافة عند اصحاب هذا المذهب ـ وانما كان لزاماً على الذين يدرسون دروس اليوجا ان يعتادوا ويعزوا انفسهم على ان يتغلبوا على كل ذلك من غير ان يحسوا بألم ما . وعندهم ان في حالات كهذه اذا اتم اليوجي التعاليم التي يكب على حفظها والعمل بها فانه يحرق جسمه دون ان يحس او يتألم

وانما كان الغرض من الاديان جميعها ـ ان لا يكون للطبيعة سلطان على النفس ـ هذه هي الغاية ـ اما الوسيلة لتحقيق هذه الغاية ، فاما ان تكون بالتعبد والتنسك ـ او بالاكباب على الفلسفة والعمل بتعاليمها او ما اشبه ذلك . ولما كان الغرض الغائي من كل ذلك هو تحرير النفس ـ كان كل ما

وضع من التعاليم او الطقوس الدينية او غير ذلك انما هي وسائل ثانوية فحسب ـ فاليوجي يجتهد في ان يحرر نفسه بالحكم عليها وبتسلطه على طبيعته الداخلية ـ وهو في ذلك يقول : ان الجسم ان هو الا قشرة تكسو العقل،فاذا ما تيسر للانسان ان يتغلب على طبيعته الداخلية مكنه ذلك من ان يتغلب على طبيعته الخارجية ـ ذلك انه متى كان في قدرته ان يتغلب على العقل ، كان في مكنته ايضاً ان يتغلب على الجسم ويقوى عليه ويهيمن على كل شيء فاذا الحال غير الحال واذا كل شيء يلقاه ميسوراً

وما نحن بقادرين على ان نبلغ هذه الدرجة ـ اي الى درجة العلم بما يحوطنا الا اذا امكننا ان نميز بين الحقيقة وغيرها ـ ذلك بأننا نعلم ان النفس ليست الطبيعة ولا هي المادة ، ولا هي العقل ولا هي شيء من ذلك ـ وأنها لا ينتابها التبديل والتغيير ابداً

لا تستنير النفس وتحيط علماً بكل شيء الا اذا بلغ المريد (الطالب) الدرجة السابعة ـ وهذه اقصى درجات العلم . فالدرجة الاولى ـ هي ان يعرف الانسان ما يجب معرفته ، وأن يدرك ان العلم كامن فيه ، وهو الواسطة الوحيدة من الحصول عليه ـ هنالك يطمئن بالله ويرتاح ضميره . وفي الدرجة الثانية تزول عنه اسباب الشقاء والالم فلا يكدره مكدر ولا يؤلمه مؤلم . وفي الدرجة الثالثة ، يصل الى درجة العلم التام . وفي الدرجة الرابعة ـ يذكو العقل ويبعد عن كل شائبة . وفي الدرجة الخامسة تتحول مادة العقل الى النفس . وفي الدرجة السادسة . يدرك الانسان انه كائن في النفس وأنه لا علاقة له بالعقل او الجسم فيصل الى الدرجة الاخيرة ـ اي الدرجة السابعة

وتظهر امامه الاشياء على حقائقها ويدرك انه قادر على كل شيء الخ . ومتى تم له ذلك تطرق عن طريق العمل والتمرين حتى يبلغ المثل الاعلى

ومن وصايا اليوجا ـ القسم الاول يعرف باسم اليـاما وهو ينحصر في الا يرتكب الانسـان جريمة القتل وأن يقول الصدق وألا يسرق وأن يكون قانعاً وألا يقبل هدية

وفي متناول كل مخلوق ذكراً كان ام انثى ، صغيراً او كبيراً ان يعود نفسه على هذه الفضائل ـ فلا يقتل النفس التي حرم الله قتلها، ولا يسرق، ولا يستعطي ، وأن يكون شهماً عفوفاً

والقسم الثاني : يعرف باسم « النياما » وينحصر في تطهير الجسم والسريرة وفي الزهد والعبادة

واذا وقع بخاطرك ما يخالف تعاليم (اليوجا)ـ فقاوم هذا بما يخالفها ومعنى ذلك ـ انه اذا عنّ لك ان تسرق ففكر في الزهد وحارب هذه النزعة بالعفة

اعلم ان كل ما تأتيه من خير او شر راجع اليك مهما احتطت لذلك

متى تمكن الصدق من نفس اليوجي ـ استطاع ان يصل الى مرغوبه دون عناء او كد او مشقة ـ بمعنى انه اذا قال لاحد ـ بارك الله فيك عمته البركة . واذا قال لمريض شفاك الله ـ شفي في الحال باذن الله

ومتى رسخ في ذهنه عدم الاذى ـ زالت اسباب العداوة من امامه حتى عند الحيوان ـ فيلاعب الذئب والخروف امامه دون ان يقع الاذى من احدهما على الآخر

واذا ما رسخت في ذهن اليوجي فضيلة تجنب السرقة (الخيانة) غمرته النعمة ووليته الثروة

واذا عود نفسه التعفف ـ كسب قوة وهمة ونشاطاً وحسبك ان تعرف ان قادة الشعوب والمصلحين في كل الامم كانوا من العفة والزهد بمكان عظيم

اذا عود الانسان نفسه على الا يقبل هدية من احد ـ فان ذلك يكون اثره ظاهراً في صفاء قريحته وقوة ذاكرته ـ فالاستعطاء يغشي العقل ويغلفه بغلاف كثيف يحول بينه وبين الحقائق ويغمسه في حمأة الجهل اذ يكون اسيراً

اذا طهر الجسم من الداخل والخارج صار صاحبه لا يعنى بالمظاهر الخداعة والظواهر الخلابة ـ وأصبح لا يحفل بهندامه، فما يراه الناس حسناً وجميلاً يكون اشر الاشياء وأقبحها اذا اقترن بالرذائل ـ وانما الفضائل تجمله وتزكيه

هنالك يزكو العقل ويتغلب الانسان على جميع الاعضاء ـ وهنالك يحس بالهناءة والسعادة والغبطة والسرور ويأخذ في طريق النجاح وأسباب الوصول

القناعة تنتج السعادة وتبعث على الهناء والراحة الحقيقية

الزهد في الحياة الدنيا يقوي حواس الجسم فيصبح صاحبه حاد البصر قوي السمع الخ

بتكرار اللفظ المقدس (ام) تصل الى الآله الذي تبغي وجهه

اذا ضحيت كل شيء في سبيل المثل الاعلى (اسوارا) فانك تصل بذلك الى ما بعد الطبيعة

القسم الثالث من الوصايا يعرف باسم (اساما) وهي عبارة عن الهيبة التي

يجب اتخاذها . فيجب ان يجلس بحيث لا يشعر بجسمه حتى لا تختل اعصابه اثناء تمرنه على التنفس فيتنفس على حالة واحدة ثابتة لا يؤثر فيه سرور او الم

ان التفكير في ما لا نهاية له مما يجعل وضع الانسان المتعلم ثابتاً مقبولاً ومتى تهيأ له ذلك تغلب على الاضداد – اي على الحسن والقبيح والحر والبرد الخ

من بعد ذلك نصل في تعاليم اليوجا الى حركة الشهيق والزفير وهو المعروف (بالبرانيانا) اي القسم الرابع : حصر القوى الحيوية المعبر عنها (بالبرانا) وتوجيهها للاشياء الخارجية او الداخلية

هنالك تضعف قوة المادة النشوية التي تحوط العقل

ويصبح العقل قابلاً لجمع القوى وحصرها



الفصل الثالث

في القوى

(١) توجيه العقل الى شيء معين في الجسم او خارجه ويعبر عنه (بالدهرانا)

(٢) الادراك او العلم بواسطة هذا الشيء يعبر عنه (بالدهيانا)

(٣) متى كان الفكر موجهاً الى المعنى سمي ذلك (بالسمادهي)

(٤) وهذه الثلاثة يطلق عليها جماعها اسم (سمايانا)

(٥) اذا استولى الانسان على ذلك تبين له نور العلم الحقيقي

(٦) يجب ان يكون ذلك بالتريث والتدرج

(٧) يجب ان يكون ذلك بالانتقال من حال الى حال ــ من الظاهر الى الخفي شيئاً فشيئاً

(٨) متى وصل الى السمادهي في اعلا درجاته كان انساناً غير الانسان

(٩) يقال بأن العقل يبلغ تصور الحكم والهيمنة متى غابت عنه تصورات الاضطراب والتطفل

(١٠) انك تصل بالمثابرة والتمرين يوماً بعد يوم الى استجماع القوى

(١١) فتنقى مادة العقل وتصير في الدور المعبر عنه (بالسمادهي)

(١٢) هنالك لا يكون ثمت فارقة بين الماضي والحاضر وتزول الحوائل الزمنية ويصبح الزمن واحداً

(١٣) وهذا ما يعبر عنه بالتحول الثلاثي ــ للزمن والحالة والصورة

(١٤) ثم انتقل من ذلك الى كيفية تكون العقل وتصوره بحيث يمكنه اذا سمع صوتاً ان يتعرف الغرض منه في الحال - ويعرف اذا كان صادراً من حيوان او انسان ويعرف الماهية الأدراكية عند غيره اذا اطلع على ما في جسمه من دلائل وعلائم

(١٥) قد يخفى اليوجي عن انظار الحاضرين فلا يراه احد وهو موجود يمرح ويمشي غدواً ورواحاً بين الناس — وذلك يتأتى له متى عمل (السميانا) على جسمه

(١٦) في مقدور اليوجي ان يعرف اليوم بل الساعة والدقيقة التي فيها تفارق روحه حيز جسمه

(١٧) وفي مقدور اليوجي ان يصبح كالفيل قوة اذا صنع (السميانا) ويكون له من القدرة والقوة ما لا حد له

(١٨) قد يعرف اليوجي ما هو حاصل في الجهات النائية ويرى ما لا تراه الابصار متى وجه (السميانا) الى النور الساطع

(١٩) ويعرف الارضين متى وجه (السميانا) الى الشمس

(٢٠) واذا وجهها الى القمر عرف النجوم

(٢١) واذا وجهها الى النجمة القطبية عرف حركات الكواكب

(٢٢) واذا وجهها الى وجهه زال ما به من جوع

(٢٣) واذا وجهها الى العصب المعروف باسم « كورما » استقام الجسم واعتدل

(٢٤) واذا وجهها الى قمة الرأس — ترآى له ما يسمى (بالسدهادس) وهي مخلوقات تقرب من الكون

(٢٥) وقد يحصل العلم كله بقوة (البرانيا) وهي نورانية التقوى والصلاح

(٢٦) بالقلب تعرف العقول

(٢٧) التمتع او التلذذ يحصل من عدم التمييز بين النفس الحقة — « حقيقة النفس » والنفس المادية — فتوجيه « السميانيا » الى هذه يرشدك الى ما يسمى « البروسا » النفس الحقة

(٢٨) يقال ان الصلة بين النفس والعقل هي السبب في وجود تلك الملذات — هنالك ترى الفرق بين ما يسمى « بالبرانيا » اي درجة الذكاء الفائق ، ومعرفة النفس الحقة وخلاصها من العبودية — فالانسان في الحالة الاولى يكون عرضة للغواية والغرور اما في الحالة الثانية فيكون بعيداً عن كل المؤثرات ويكون مع الحقائق عائشاً لا مع الخيال والخبل

(٢٩) متى كانت النفس حركة مطلقة الحرية غير خاضعة ولا خانعة لاي اثر من آثار العبودية او الرق فان « اليوجي » وهذه حاله يستطيع ان تتقمص روحه جسم اي انسان آخر — فيدخل جسمه حيث يجعله يتحرك — بينما نراه في جسم آخر — كما انه يستطيع ان يدخل جسم اي انسان حي ويقف حركته العقلية والعصبية ويهيمن على كل ما فيه من قوى

(٣٠) متى تغلب (اليوجي) على التيار المسمى (اداما) فانه لا يغرق في الماء بل يتخطاه فلا يغمره ولا يغرقه — كما انه يمشي على الشوك فلا يتألم ولا يحس بشيء من اثر الشوك . و (الاداما) هذا هو العصب المتسلط على

الرئتين. فاذا تسلط عليه وخف جسمه — فلا يغرق في الماء، بل يسير على صفحته، كما يسير على النار والشوك وحد السيف من غير ان يصيبه اذى او تلحقه مضرة

(٣١) اذا تغلب على التيار المسمى (سمانا) احاطته شعلة من نار

(٣٢) اذا وجه (السميانا) الى العلاقة الكائنة بين الاذن والاثير سمع اصواتاً على بعد اميال بعيدة جداً

(٣٣) اذا وجه (اليوجي) السميانا التي بين جسمه والاثير خف ثقله فطار في الهواء

(٣٤) اذا وجه (اليوجي) السميانا الى تصورات العقل زالت الحوائل التي تحول بينه وبين النور

(٣٥) وعلى الجملة يهيمن (اليوجي) على العناصر كلها اذا هو وجه اليها (السميانا)

(٣٦) ومن هذا يعلم ماهيات الاجسام وأسباب تمجيدها وبهذا يبلغ (اليوجي) منتهى القوى فيستطيع ان يجعل نفسه خفيفة كالذرة او ثقيلة كالكرة الارضية — ويسود على كل ما يريده فاذا نظر الى الاسد خشع له وخضع واذا لقي مخلوقاً اهتز لهيبته وتأثر فهو موثر فعال في متناول يده كل ما يجول بخاطره

(٣٧) الصفات التي من اجلها تجمد الاجسام وتعظم — هي — الجمال واللون والقوة والصلابة

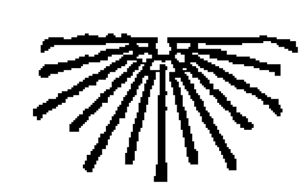
(٣٨) اما اذا وجه الانسان (السميانا) الى الاشياء الخارجية فانه في هذه الحالة تصبح اعضاؤه لا عمل لها فتعطل

المعروف انك كلما بعدت عن مركز الحركة قلت هذه وخفت صولتها . فالمادة هي القشرة الخارجية الشاملة للجسم ثم يليها العقل ثم الروح في الوسط — تصور ان مجال النظر مقسم الى مستويات — ففي كل مستو حركات اهتزازية لا تعد — فالذين يعيشون في مستو واحد يعرفون بعضهم بعضاً، ولكنهم لا يعرفون من عداهم من فوق او من تحت

ولما كان الانسان في العهد الاخير قد بدأ يقوى نظره ليقوى على ما بعد ودق من المرئيات فاستعان «بالميكرسكوب» لرؤية صغائر الموجودات، واستعان «بالتليسكوب» لرؤية البعيد منها ، وهي حالة جديدة لم يكن له بها سابقة تعرف او عهد ، كذلك ايضاً هو يستطيع ان يصل الى قوة الحركات الاهتزازية في المستوى الذي يليه من فوق او من اسفل

ولنضرب لذلك مثلاً فنقول : لنفرض ان غرفة مّا ملآى بأشباح لا تقوى باصرة مبصر منا على رؤيتها — فهي تمثل حالة حركة خاصة من البرانا ونحن نمثل حالة حركة اخرى — ولنفرض ان حركتها كانت اسرع من حركاتنا وأن هذه الاشباح مثلنا مكونة من مادة البرانا — غير ان درجة الحركة الاهتزازية مختلفة عما نحن عليه — فاذا استطعت ان اصل الى درجة السرعة التي هي عليها — تغير مستوى النظر — وكنت في هذه الحالة لا ارى من في الغرفة من صحبي وخلاني الموجودين معي ولكني ارى الاشباح الكائنة في الغرفة والتي لا تقوى الابصار على رؤيتها — هذا مثل نسوقه لتبيان

ما يستغلق فهمه من هذه النظرية — ثم اعلم ايضاً ان معنى كلمة سمادهي — انما الدلالة على الوصول بالعقل الى مستوى اعلى من مستوى الحركة الاهتزازية التي نمثلها — وفي اسفل الدركات تظهر لنا الاشباح وفي اعلى الدرجات نرى حقائق الاشياء — نرى المادة التي تتألف منها جميع الكائنات على اختلاف درجاتها وتباين اشكالها — ومتى وصلنا الى معرفة تلك المادة عرفنا مادة الكون جميعها



البرانا النفسية

يرى اليوجيون ان في العمود الفقري مجريين للاعصاب يسميان « البنجالا وايدا » وأن في منتصف (وسط) السلسلة الفقرية قناة مجوفة من اسفل تسمى « سوسمنا » وأن في آخر تلك القناة المجوفة من اسفل — يوجد ما يسميه اليوجيون « لوتس الكواندالبني » (اللوتس اسم لشجرة الدر (وهو ثلاثي الشكل في نهاية قوة الكواندالبني كامنة اذا ظهرت اخترقت القناة المجوفة ومنها الى العقل طبقة بعد طبقة — هنالك تظهر له المرئيات المختلفة — وهنالك يصل اليوجي الى قوة عجيبة — فاذا وصلت الى المخ انفصل اليوجي عن جسمه وعن العقل — وأنست النفس الى مسرح آخر

وليس يخاف على ذي بصيرة ان السلسلة الفقرية تأتلف ائتلافاً خاصاً بها فاذا اخذنا رقم ثمانية الافرنكي (8) وعدلنا وضعه هكذا (∞) آنسنا فيه جزئين يتصلان من الوسط — فاذا رسمنا ثمانيات متعددة بعضها فوق بعض شبه لنا هذا الرسم — السلسلة الفقرية — فالايمن منه يسمى (بنجالا) والايسر يسمى (ايدا) — وتلك القناة المجوفة التي تمر في وسطها — هي (السوسمنا) — وفي نهاية الحبل الفقري عند بعض الفقرات ينزل خيط رفيع داخل في القناة التي تتضاءل وتصبح ارفع فأرفع شيئاً فشيئاً حتى ينتهي بها الامر الى انها تسد في الطرف الاسفل عند الضفيرة العجزية

على ان هذه حسب ما هو معلوم من علم الفيسيولوجيا الحديث مثلثة الشكل

على حين ان ذلك الحبل الفقري يتسلسل منه ضفائر عصبية كثيرة تبتدىء من القاعدة وتنتهي عند المخ. ومعلوم ان عمل الاعصاب انما ينحصر في شيئين اثنين ـ فهي اما موردة او مصدرة. والاولى انما تنقل الى المخ الاحساس. والثانية تنقل الاحساس من المخ الى ما يحوط بنا

وهنا لا بد لنا من استيضاح بعض الحقائق ليكون ما نحن آخذون في شرحه مساغاً مفهوماً فنقول :

ان هذا الحبل الفقري ينتهي عند المخ بأن يكون اشبه ببصلة من النخاع وهذا لا يتصل بالمخ وانما هو سابح في سائل داخل المخ . ولهذا السبب نرى انه اذا اصيب انسان احياناً بضربة في رأسه تلاشت قوة الضربة في السائل ـ ولم تصب البصلة بضرر ما. وهذا امر ذو بال يجب ان نهتم به وأن نتذكر ان اهم المراكز العصبية في الحبل الفقري ثلاثة هي : مركز القاعدة المسمى (مولادهارا) ومركز المخ الكثير التشعب ويسمى (ساهارا) والمركز المسمى (سفادتانا)

على ان هذه القناة مسدودة الآخر (الطرف) السفلي عند الكافة من سواد الناس ـ فلا عمل لها اذن ، وهناك الطريقة التي يعرضها اليوجيون كيما تنفتح وحتى تجتازها التيارات العصبية . عند ما يحمل احساس الى مركز ما فان المركز يعكس العمل ـ وانعكاس العمل هذا يكون متبوعاً بحركة اذا كان المركز يتحرك بنفسه ويكون متبوعاً اولا بادراك ثم بحركة اذا كان المركز مركز شعور ـ اذن فكل ادراك هو انعكاس عمل آت من الخارج اذن فكيف تنجم الاحساسات في الحلم ؟ ولا عمل من الخارج ؟

المعقول ان عوامل الحس كامنة في جهة مّا . كما ان عوامل الحركة في مراكز مختلفة فاذا تأتى لي ان ازور مدينة مثلاً ، انطبعت صورتها في ذهني اثر رؤيتي ما بها من معالم —حتى اذا انقضى زمن طويل على هذه الزيارة— وحاولت ان اتذكرها،مثلت صورتها في الذاكرة وتذكرتها وهو ما يوافق تمام الموافقة نظرية الاحلام . اما المركز الذي فيه تدخر جميع الاحساسات فيطلقون عليه اسم(مولدهارا)قالوا ويحتمل ان يكون مركز القوة المحركة— هو ايضاً من نفس نوع ذلك المركز. ذلك بأنه بعد ان يتعمق الانسان في التفكير والتفرس وتعرف الاشياء الخارجية يشعر بحرارة في مركز (مولدهارا) وهو ما يعرف بعجب الذنب

من هذا يتبين ان احياء (الكواندليني) هو السبيل الوحيد للوصول الى الحكمة الآلهية وادراك النفس ، وقد تصل الى ذلك بطرق مختلفة - اما بمحبة الله او بتتبع طرق افاضل الحكماء . ففي كل حالة تظهر لك فوق الطبيعة لا بد ان يكون هناك تيار صغير من (الكواندليني) مسرب الى قناة (سوسمنا) ، فكل عبارة سواءاكان يشعر بها صاحبها ام لم يشعر توصل الى هذا الغرض ، فالانسان الذي يظن انه ينال خيراً على ما يكون منه من صلاته ـ لا يعرف ان نواله ذلك هو من خلقته وطبيعته وأنه باتخاذه وسيلة الصلاة نجح في احياء(ايقاظ)جزء صغير من القوة الكامنةفيهالتي لا حد لها

يقول اليوجيون:انمايعبده الناس من المعبودات تحت اسماءمختلفةهوالقوة الحقيقيةالمختبئةفي كل مخلوق وهي رأس السعادة الابديةاذا امكننا الوصول اليها فالراجا يوجا هو علم الدين ـ علم العبادةالحقة والطقوس الدينيةوالمعجزات

حكم برانا النفس

كان حقاً وكان لزاماً على معشر اليوجيين ان يروضوا انفسهم على احكام التنفس وضبط النفس وأعمال او حركات الرئتين . فالاعصاب منتشرة في كل الجسم تكسب كل عضلة الحياة والنشاط ـ وانما كانت سبيل اليوجيين في ذلك ان يحس الانسان بمجرى الاعصاب ، وأن يتسلط على كل حركات (البرانا)

وانما سبيلهم الموصلة الى ذلك التعويد والمرانة على الرياضة وتنظيم حركات النفس وهاك ما يلزم لذلك :

(١) ان تكون معتدل القامة ـ لانه اذا قعدت قعدة بغير اعتدال ـ اثر ذلك في النخاع الشوكي فكان مختلاً مضطرباً ، فاذا اخذت تفكر وأنت على هذه الحال كانت حالتك التفكيرية غير منتظمة وأسأت الى نفسك. فيجب ان يكون الصدر والرقبة والرأس ـ على خط واحد ، وما ذلك على المرء بعسير

(٢) يجب ان نهيمن على الاعصاب . وقد اسلفنا القول ان مركز اعصاب التنفس له سلطان ونفوذ على غيره من الاعصاب ، وعليه يجب ان يكون التنفس بطريقة منتظمة. اما نحن فنتنفس عادة تنفساً مضطرباً ليس فيه ثم نظام ولا ترتيب

اذن فيجب ان تتعلم اولاً ان يكون الشهيق والزفير بميزان خاص ويحسن في المرانة على ذلك ان نلفظ لفظاً مقدساً كاتخاذ كلمة (ام)

مثلاً لذلك ــ في الشهيق وعند الزفير . وعلى ذلك يصبح الجسم في حركة منتظمة انتظام الساعة ــ هنالك ندرك الراحة بمعناها الحقيقي « فالنوم الذي نعده من اسباب الراحة، اذا قابلناه بذلك لا يذكر الى جانب ما يكون من تأثير هذا النظام التنفسي على الجسم » فاذا ما وصلنا الى ذلك هدأت الاعصاب المتعبة

وانما يظهر اثر ذلك في وجوه الذين يعتادونه ــ تعلوها نضرة ويلوح عليها البشر والسعادة ويزايلها القطوب وتطمئن الى السكينة ، وتتجمل بجميل الصورة . وانما يحصل هذا بعد تمرين بضع شهور ، فاذا انتهينا من ذلك ــ انتقلنا منه الى تمرين ارقى وهو :

املأ الرئتين تدريجاً عن طريق الخيشوم الايسر بالهواء.وفي آن واحد وجه فكرك حيال المجرى العصبي ــ فانك في هذه الحالة ترسله الى النخاع الشوكي فيضرب في عجب الذنب (المثلث الشكل) . وابقه هناك لحظة ثم تصور انك تسحب هذا المجرى العصبي رويداً رويداً بواسطة النفس فتدفعه من الخيشوم الايمن وانك تجد بادىء الامر ان هذا عمل شاق.وانما يسهل عليك ذلك ان تسد الفتحة اليمنى من الخيشوم بالابهام ثم تتنفس رويداً رويداً بالفتحة اليسرى ثم تغلق الفتحتين معاً بالسبابة والابهام ثم تتصور انك تبعث بذلك التيار الى قاعدة القناة المسماة(سوسمنا) ثم ترفع الابهام وتخرج النفس من الفتحة اليمنى . وبعد ذلك تستنشق بتلك الفتحة مع بقاء الفتحة الاخرى مسدودة بالسبابة ثم سد الاثنتين معاً كما سبق

اما الطريقة المتبعة في بلاد الهند فيصعب التمرن عليها في هذه البلاد

(امريكا) لاعتياد الهنود عملها وسهولتها على من اعتادها منذ نعومة اظفاره ـ فهم بما مرنوا عليه رئاتهم فيهم الاستعداد لذلك اما في هذه البلاد فيجب على المرء ان يمرن نفسه بادىء الامر مدة اربع ثوان ثم يزيد ذلك مرة بعد مرة . خذ حركة الزفير ثماني ثوان وفي الوقت عينه وجه فكرك نحو عجب الذنب وبعد هذا خذ حركة الشهيق تدريجاً ثم حركة الزفير ثم امنع التنفس مستعملاً ما اسلفنا القول فيه

ويجب الا تكثر من التمرين على ابقاء النفس في الرئتين فيكفي التمرين عليه اربع مرات في الصباح ومثلها مساء ثم كذلك دواليك مع زيادة عدد المرات تدريجاً والحذر من عدم انتظام التمرين

ومن ثلاث العمليات التي تنقي وتطهر الاعصاب اثنتان ابقاء النفس في الداخل ومنعه من الخارج ليستا من الصعوبة او الخطورة بمكان . فكلما اكثرت من التمرين في الحالة الاولي زدت سكوناً وتأنياً وتوءدة . ويمكنك ان تزاول ذلك وأنت في عملك وهو خير وأجدى . ذلك بأنك اذا اكثرت من التمرين نشطت وأيقظت (الكونداليني) فالذين يعالجون ذلك مرة واحدة في اليوم او مرتين ـ تهدأ اجسامهم ويطمئن بالهم وتحسن اصواتهم، وأما الذين يكثرون من التمرين ـ فان الطبيعة تتغير امام اعينهم ويفتح عليهم ـ فأبواب العلوم والمعارف تنفتح امامهم على مصراعيها ولا يحتاجون لكتب للتحصيل فعقولهم فيها معارف وعلوم لا يقع عليها الحصر . والغرض الذي يرمي اليه اليوجا هو فتح القناة المسماة (سوسمنا) اذ انه متى فتحت هذه القناة وأخذ الفكر يخرج منها ـ ادركنا ما وراء الحواس بل ما وراء العقل

يقول يوجا انه يوجد على جانبي القناة مراكز الاعصاب المتفرقة في جميع انحاء الجسم ـ ففي المركز الاسفل تدخر قوى النشاط ومنها تنتقل الى المركز الاعلى من المخ. وعلى حسب مقدار كميته في المخ تكون درجة العقل والروح ـ فمن الناس من يكون حلو الحديث طيب الفكر ولكنه ليس فيه قوة التأثير على الغير

ومنهم من لا يكون كذلك ولكن له من قوة التأثير على الغير ما يدهش العقول ويترك الناس حيارى في تعليل هذه الظاهرة ـ اما اليوجيون فيعللون ذلك بما يكون في دماغ المخلوق من كمية «الاوجاس» وتفاوت تلك الكمية في الناس كثرة وقلة

والرأي عندهم ان كل قوة في جسم الانسان من عضلية وغيرها يمكن تحويلها الى قوة (اوجاسية) ـ مثل ذلك مثل تحويل القوة المغنطيسية والكهربائية داخل الجسم الى قوة ينتفع بها هذا الجسم

وليس يقف عامل تحويل القوى الكامنة في الجسم الى « اوجاس » عند هذا الحد عند الجماعة ـ بل هم يذهبون الى ابعد من ذلك فيقولون ان قوة التناسل وحتى القوة الفكرية ـ حتى هذه يمكن بالرياضة والعادة كبح جماحها والهيمنة عليها وضبطها ثم تحويلها مما هي عليه من شهوة ونزعة مادية الى (اوجاس)

هنالك الولاية للعفة والطهارة والفضيلة ـ فما كان لمخلوق مندمج في المادة منغمس في الشهوة البهيمية ان يحلق في جو الرياضة ويصل الى درجة

الكمال . ولا كان لانسان ان يجمع بين الرذيلة والفضيلة ويسوي بين الشهوة والاتجاه الى الملأ الاعلى


اذن فالعفة الزم ما يلزم لمن يبغي وجه الله ويريد حياة غير هذه الحياة الآلية ويسعى لها سعيها وهو موءمن . ومحاربة الشهوات والقضاء على ما فينا من اللذات الحسية ـ كل هذا كان حقاً وكان واجباً على المريد ـ بادي الامر ـ وقبل ان يعالج رياضته هذه

والا فاذا هو حاول التوفيق بين الحالين والجمع بين النقيضين ـ فانه في هذه الحالة يفقد الدين والدنيا معاً، ويضيع ما فيه من عقل وكل قوة معنوية

وأنت تجد ان الاديان جميعها فتحت سبيل (اليوجا) امام اتباعها ـ تحض على اتباع العفة وتشترط الفضيلة اساساً للرياضة ، والطهارة (مبدأ) للعمل لها ، ومن اجل ذلك شاعت الرهبنة في بعض هذه الديانات وكان تحريم الزواج دائماً في بعض الطوائف

اذن فمن الحق ومن الواجب على كل مريد يبغي البر والخير ـ ويعمد الى الاندماج في هذا الجو ومزاولة تعاليم اليوجا ورياضاته ، ومعالجة شئونه، ان يعمل على ان يطهر نفسه من شوائب الدنس والرجس ـ سواء اكان عن طريق اللفظ ام الفكر ام العمل حتى يصل الى ما ينشده ـ والا فانه لن يستفيد من رياضات اليوجا اذا تلفت يمنة ويسرة محاولاً التوفيق بين الحالين حال الشهوة وحال هذه الرياضة

والا عرض نفسه للجنون


Bibliotheca Alexandrina
02236487